جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2172) - السنة (53) ربيع الأول 1444هـ / 1 أكتوبر 2022م

رحلة عطاء

الإمام يوسف القرضاوي

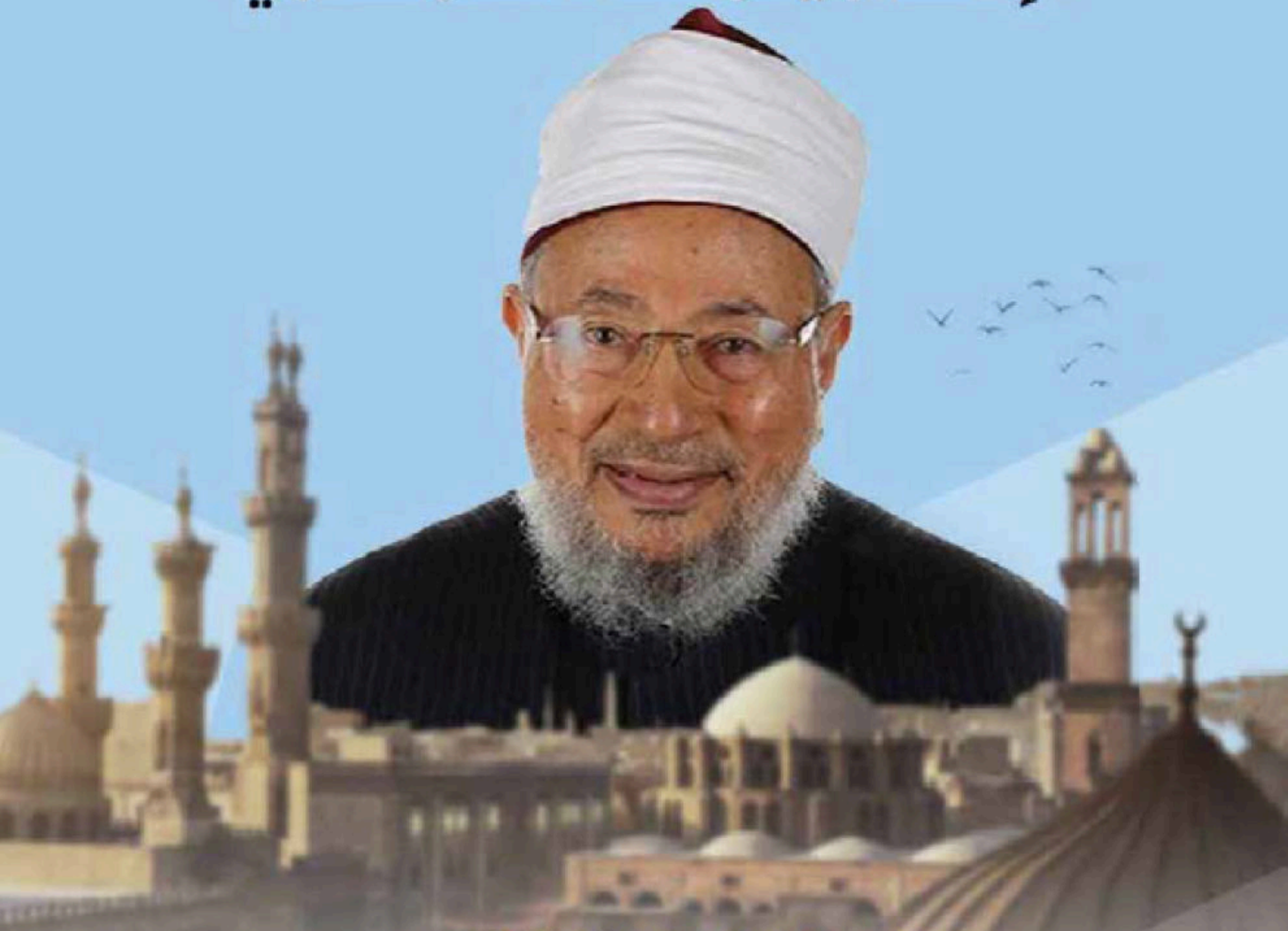

MUGTAMA

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 750 فينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 20 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

موقع

المجتمع

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2172) - (السنة 53)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني:

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

رحلة عطاء الإمام القرضاوي

- الكويت.. قراءة في نتائج انتخابات «أمة 2022» 6
- العالَم الإسلامي يودِّع علاَّمة العصر الإمام يوسف القرضاوي 10
- علماء ودعاة لـ«المجتمع»: رحيل الإمام القرضاوي خلَّف ثُلمة لا تُسد 14
- المَلَكة الحديثية عند د. يوسف القرضاوي 26
- راشد الغنوشي: انقلاب سعيّد خطوة متقدمة لاستعادة الحكم الاستبدادي.. وهكذا نواجهه 52
- بشائر الخير من النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته 64

مقالات

الشيخ القرضاوي.. العقل الموسوعي والنموذج التاريخي — ناصر حمدادوش — 32

الإمام القرضاوي مع الأجيال — د. يوسف السند — 63

القرضاوي.. إمام الأئمة وفقيه الأمة — د. عصام البشير — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾

(الأحزاب)

الإمام القرضاوي.. شمس لا تغيب

أشرقت شمس السادس والعشرين من سبتمبر الماضي ولم تغرب إلا بعدما عمّ الحزن ربوع العالم الإسلامي؛ حيث غربت فيه شمس أخرى كانت مشرقة بالعلم والمعرفة، امتدت أشعتها إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ فملأتها علماً وفكراً ودعوة وجهاداً.. إنها شمس العلاَّمة الإمام الشيخ د. يوسف القرضاوي، الذي قبضه الله تعالى بعد نحو عشرة عقود من الزمان، مخلفاً وراءه إرثاً عظيماً حقيقاً بأن تظل شمس الشيخ في الأفق يقتبس من نورها المقتبسون ويستضيء بضيائها المستضيئون.

ولا ريب أن موت العالِم خطْبُه جلل وبلاؤه عظيم ورزيته كبيرة، أو كما قال الحسن البصري، يرحمه الله: «موتُ العالِم ثُلْمة في الإسلام لا يسدُّها شيء ما طرد الليل والنهار»؛ فإذا كان هذا العالِم في قامة الإمام القرضاوي وقيمته؛ فإن الخطب سيكون أجلّ والبلاء أعظم والرزية أكبر، وصدق الشاعر:

لعمـــرك ما الرزية فقْد مال ... ولا شـــاة تمـــوت ولا بعـير
ولكن الرزيـــة فقْد شخـص ... يمـــوت بمـــوتـــه خـلـق كـثـير

ولكنَّ عزاءنا أن الشيخ الإمام رحل وترك خلفه إرثاً كبيراً ينوء بمثله أولو العزائم والنهى، ينبئك عن ذلك موسوعة الأعمال الكاملة المرتقب صدورها قريباً، إن شاء الله تعالى؛ حيث جاءت في 105 مجلدات، بمجموع 75 ألف صفحة، بمعدل تأليف 3 صفحات يومياً (إذا تم تقسيمها على أيام عمره كله منذ ولادته حتى وفاته)؛ ولذا نرجو أن يكون، رحمة الله عليه، ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل: أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: «مَن طالَ عمرُهُ، وحَسنَ عملُهُ».

ولعل علامات حُسن عمل الإمام القرضاوي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار؛ حيث ضرب في كل مجال من مجالات العلم الشرعي والعمل الإسلامي بحظ كبير ونصيب وافر؛ يشهد على ذلك ما ورَّثه في ميادين التأليف والدعوة والعمل الخيري ودعم المجاهدين ومجابهة الحكام الظالمين.. إلى آخر هذه الأعمال التي حُبِّرت فيها المجلدات العظام، وألقيت فيها الخطب الطوال، ومنه ما وضَّحه هو، يرحمه الله، بقوله: «منهجي الذي اتبعته طوال حياتي: عرفتُ الإسلام بشموله، ووعيته نظاماً للحياة في كلّ جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية»؛ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162).

وإننا في مجلة «المجتمع» نرجو أن يكون في هذا العدد من المجلة بعض معالم إرث الشيخ القرضاوي وبعض الإشارات الدالة عليه؛ حيث خصصت المجلة ملف هذا الشهر وفاءً له وتقديراً لمكانته، رغم قلة المساحة وضيق الوقت؛ حيث وافته المنية قبيل طباعتها؛ فتم تغيير المسار وتدارك الموقف حسب ما سمح به المقام.

ونسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ رحمة واسعة، ويسكنه فسيح جناته، ويجزيه عن العلم والعلماء والعمل الإسلامي والخيري والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها خير الجزاء، وأن يخلف على الأمة خيراً.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الكويت.. قراءة في نتائج انتخابات «أمة 2022»

لبَّى الشعب الكويتي نداء سمو الأمير وأحسن اختيار ممثليه في مجلس الأمة، فجاءت نتائج الانتخابات بنواب جدد بنسبة تغيير بلغت 54%، وحققت المعارضة تقدماً كبيراً بحصولها على حوالي 60% من المقاعد.

وكان سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الصباح، حفظه الله ورعاه، قد وجه خطاباً سامياً إلى الشعب الكويتي ألقاه نيابة عنه سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الصباح، حفظه الله، في 22 يونيو الماضي، الذي رسم فيه خارطة طريق للمرحلة المقبلة، وطلب من الشعب حُسن الاختيار، وبالفعل في يوم 29 سبتمبر 2022م أحسن الشعب الاختيار وكانت هذه النسبة من التغيير.

والغريب في النتائج أن أغلب أعضاء ما كانت تسمى بكتلة الرئيسين قد خسروا الانتخابات أو لم يحوضوها بالأساس، فيما فاز كل النواب الذين عُرفوا بنواب المنصة ونواب الاعتصام، وحصل النواب الإسلاميون على 11 مقعداً.

وتعد انتخابات الفصل التشريعي السابع عشر (أمة 2022) هي السادسة ضمن نظام الدوائر الخمس، والرابعة من حيث إجرائها وفق نظام الصوت الواحد، وتجاوزت نسبة التصويت 63.3% بالدوائر الخمس، بحسب الأصوات المجمعة لجميع المرشحين، دون احتساب الأوراق المبطلة، وتنافس في الانتخابات البرلمانية 305 مرشحين في 5 دوائر انتخابية لاختيار 50 عضواً.

وفي المحصلة النهائية، احتفظ 23 نائباً من المجلس السابق بمقاعدهم، في حين دخل

27 نائباً جديداً إلى المجلس، وتقلَّص عدد مقاعد القبائل من 29 نائباً إلى 22، فيما قفز تمثيل النواب الشيعة في مجلس الأمة من 6 مقاعد في «مجلس 2020» إلى 9 مقاعد، مثَّلها النواب حسن جوهر، أسامة الزيد، أحمد لاري، صالح عاشور، خليل الصالح، شعيب علي شعبان، جنان بوشهري، خليل أبل، هاني شمس.

وفي سابقة بتاريخ انتخابات مجلس الأمة في الكويت، تمكن مرشحان بالفوز بعضوية مجلس الأمة وهما داخل أسوار السجن، وهما مرزوق الخليفة (الدائرة الرابعة)، وحامد البذالي (الدائرة الثانية)، فيما استطاعت الحركة الدستورية الإسلامية (حدس) الحفاظ على مقاعدها الإستراتيجية في الدوائر الثلاث الأولى، من خلال مرشحيها الثلاثة البارزين: أسامة الشاهين (الدائرة الأولى)، حمد المطر (الثانية)، عبدالعزيز الصقعبي (الثالثة)، كما فاز ثلاثة من التيار الإصلاحي، وهم: حمد المدلج، عبدالله الأنبعي (الدائرة الأولى)، فلاح ضاحي الهاجري (الثانية)، عبدالله فهاد (الرابعة).

وتمكن المرشحان المحسوبان على التجمع الإسلامي السلفي حمد العبيد، ومبارك الطشة من الفوز في السباق الانتخابي، بعد أن غاب التجمع عن مجلس الأمة منذ عام 2016م، وتمكن من الفوز بمقعدين للنائبين، كما تمكن النواب محمد هايف، وعادل الدمخي، وعمار العجمي من العودة إلى مجلس الأمة بعد خسارتهم في الانتخابات الماضية.

ومن أبرز الشخصيات التي اكتسحت الانتخابات بحصوله على المركز الأول في دائرته الثالثة هو أحمد السعدون، عراب مجلس الأمة ورئيسه السابق.

المعارضة حصدت 60% من المقاعد وضاعف الإسلاميون نوابهم لأكثر من 10 وحازت المرأة على مقعدين

السند: النتائج بمثابة محاكمة قاسية لحقبة كان المجلس فيها مرتهناً لإدارة سيئة وتحالفات مشبوهة

الشايجي: مطلوب أجندة وبرنامج عمل حكومي وأولويات متفق عليها لخفض التصعيد

طموحات وأمنيات

ويتمتع البرلمان الكويتي بسلطات واسعة، تشمل سلطة إقرار القوانين ومنع صدورها، واستجواب رئيس الحكومة والوزراء، والاقتراع على حجب الثقة عن كبار مسؤولي الحكومة، ليأتي السؤال الذي يتبادر إلى أذهان الجميع، حول ما يمكن أن يقوم به المجلس خلال المرحلة المقبلة.

ويُمنّي الكويتيون النفس بأن تتجه الأوضاع السياسية نحو نوع من الاستقرار بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، بعدما شهدت توترات، أعاقت عمل الحكومة.

وفي تحليل للانتخابات، قال د. عبدالله الشايجي، أستاذ العلوم السياسية، في مقال له بصحيفة «الشرق الأوسط»: من الظواهر اللافتة في انتخابات مجلس الأمة السابع عشر سيطرة النهج الإعلامي الجديد والأكثر تأثيراً عن طريق وسائط التواصل الاجتماعي وخاصة موقع «تويتر»

الأكثر انتشاراً وتأثيراً، والابتعاد عن الخطابات الطويلة ووسائل الإعلام التقليدية من صحف وفضائيات، وذلك للتعريف بالمرشحين وأجندتهم وما يسمى تجاوزاً برامجهم الانتخابية.

وأضاف الشايجي: أتت نتائج الانتخابات لافتة؛ فقد فازت تكتلات المعارضة غير الموحدة، وغير المتفقة على أجندة موحدة، بـ30 مقعداً (60% من المقاعد الخمسين).

وأضاف الشايجي: خسر وامتنع عن الترشح 27 نائباً، وعاد النواب المقاطعون بعد خطاب الطمأنة، وتراجع عدد نواب القبائل؛ بسبب تقييد الانتخابات الفرعية والحد من المال السياسي والتصويت بمقر السكن، وضاعف النواب الإسلاميون عدد نوابهم لأكثر من 10 نواب.

وتابع الشايجي: لكن يبقى التحدي المطلوب مواجهته والتعامل معه من المجلس الجديد الانتقال من العمل الفردي إلى العمل الجماعي، وتشريع التكتلات السياسية والانتخاب بالقوائم النسبية، والعمل والتعاون بين السلطتين بوضع أجندة وبرنامج عمل حكومي وأولويات متفق عليها؛ سيساهم ذلك في خفض حدة المواجهات والتصعيد، خاصة بوجود المخضرم أحمد السعدون، الأوفر حظاً برئاسة المجلس، بخبرته الكبيرة، وسياسته التوافقية، ومعه رئيس وزراء جديد، بوضع آلية للتعاون وتمرير قوانين مطلوبة لحل ملفات عالقة، خاصة بوجود إجماع على محاربة الفساد كحال الدول جميعها، وقوانين تنويع مصادر الدخل.

واختتم الشايجي قائلاً: بالتالي تعزيز تعاون السلطتين بتجنب الصِّدام والاحتقان السياسي، سيعيد ثقة الناخبين بمجلسي الأمة والوزراء معاً، ويفتح صفحة جديدة تنهي المواجهات المحتدمة التي أدت لتعطيل العمل السياسي بحل مجالس الأمة واستقالات الحكومات بشكل متكرر ومتتال ومكلف.

وقال الأكاديمي والإعلامي د. علي السند: هذه النتائج بمثابة محاكمة قاسية لحقبة بائسة، كان المجلس فيها مرتهناً لإدارة سيئة، وتحالفات مشبوهة، فجاءت إرادة الأمة لتصحح المسار، وترد الاعتبار.

وعبر عدد من النواب الفائزين في المجلس الجديد عن التفاؤل من نتائج الانتخابات؛ فقال النائب أسامة الشاهين: نعارض كل فساد وفاسد، ونؤيد كل إصلاح وصالح، وأضاف: عقاب الشعب عسير لكل من خرجوا عن الدستور، وأعلن الشاهين ترشحه لأمانة سر المجلس.

وقال النائب عبدالله الأنبعي: العمل الجماعي سبيلنا للإنجاز وطريقنا لتحقيق تطلعات وآمال الشعب الكويتي، الوقت يداهمنا ولا مجال لتضييع المزيد منه.

وقال النائب مبارك هيف الحجرف: أبارك للشعب الكويتي نجاح الانتخابات في هذه الأجواء الاستثنائية، وأسأل الله تعالى أن يكتب لنا التوفيق جميعاً في مسيرة الإصلاح والنهضة.

وتعهد الحجرف بتقديم قانون العفو الشامل في جلسة الافتتاح قائلاً: وفاء بالعهد الذي قطعته أمام الله سبحانه وتعالى، ثم أمام أبناء الشعب الذين شرفوني بهذا التكليف النيابي، وحتى نطوي صفحة الماضي بكل صراعاته وأحداثه، فإنني أعلن عن تقديمي لقانون العفو الشامل في الجلسة الافتتاحية، وأسأل الله أن يجعل الإقرار نصيب هذا القانون.

وقال النائب عبدالله فهاد العنزي: سنرى نفَساً إصلاحياً، ويجب أن يترجمه النواب بفرضه على السلطة.■

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

سعد النشوان

الإمام القرضاوي والكويت.. عشق لا ينتهي

دائماً يقولون: لا تعرف مقدار شخص إلا بعد فقْده؛ إما برحيله إن كان يعيش معك، وإما بوفاته ومغادرته الدنيا الفانية، والأمة الإسلامية فقدت عَلَماً من أعلامها الكبار، وعالماً من علمائها المصلحين الإمام المجدّد د. يوسف القرضاوي.

وكان لفقيد الأمة عدة زيارات لدولة الكويت منذ ثمانينيات القرن الماضي، وفي أثناء قدومه للكويت كان يحرص على إلقاء المحاضرات في جمعية الإصلاح الاجتماعي وغيرها، وكانت تجمعه، رحمه الله تعالى، صداقات وعلاقات أخوية بكبار الأعلام الكويتيين، من أمثال العم عبدالله العلي المطوع، يرحمه الله تعالى.

وللإمام القرضاوي العديد من المبادرات والأفكار الشرعية والخيرية الرائدة؛ فهو مَنْ أطلق نداء «ادفع دولاراً تُنقذ مسلماً»، وكان الهدف جمع الأموال لإنقاذ المسلمين المنكوبين حول العالم، وكان ذلك في مؤتمر بالكويت، وتقدم بهذا المشروع إلى سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح، رحمه الله، الذي تلقاه باهتمام بالغ، وأصدر مرسوماً أميرياً، بتاريخ 3 فبراير 1987م، بإنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومقرها الدائم في الكويت، وكان مقترح الإمام القرضاوي هو النظام الأساسي للهيئة، وأصبح الشيخ أحد أعضاء المؤسسة الخيرية العظيمة التي أصبح لها شأن في أوساط العمل الخيري على المستوى الدولي.

وعندما تعرضت الكويت للغزو العراقي الغاشم، في عام 1990م، جاء الوفاء من أهله، وكان منهم الإمام القرضاوي؛ حيث خطب خطبة عصماء تحدث فيها عن حرمة ترويع المسلمين، وبيَّن أن الاعتداء على الكويت كان مبيتاً بليل، ومما قاله: «إن صدام حسين ضرب «إسرائيل» وأعداء الإسلام بالكلام، بينما وجَّه البندقية إلى أهل الكويت!»، ووصف الغزو بـ «الجاهلية الأولى»، وذكر في خطبته العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدين من يعتدي على أخيه المسلم، وشرح الحديث الشريف: «من أشار إلى أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي..»، وقال: هذا بمجرد الإشارة بالسلاح، فكيف إذا دخلت عليه واحتللت أرضه وغزوته في عقر داره؟! فهذا أمر يرفضه الإسلام والشرائع الدولية والأخلاق وقيم العروبة وأعرافها حتى في الجاهلية.

وقد سمى الإمام القرضاوي الغزو العراقي بـ«المصيبة والكارثة»، وبيَّن أن المستفيد الوحيد من هذا الغزو هم اليهود وأعداء الإسلام.

وبعد رحلة طويلة من العطاء العلمي والدعوي والخيري لقي الإمام القرضاوي، رحمه الله، ربه، يوم الإثنين 30 صفر 1444هـ/ 26 سبتمبر 2022م في الدوحة، عن عمر ناهز 96 عاماً، وقد تفاعل الكويتيون مع وفاته بما يليق مع عالم مثله؛ حيث ذهب وفد من الكويت للمشاركة في تشييع جثمانه، كما نعاه كويتيون آخرون معدِّدين مآثره.

ونختم بما رثاه به الشيخ الكويتي حامد العلي:

قالوا قد مات الإمام وما دروا
قد مات قطب في المجرة زاهر
قولوا ليوسف بعد موتك أظلمت
دنيا العلوم وغاص بحر زاخر

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

نعي وبشرى

الحمد لله على كل حال.. الحمد لله على قضائه وقدره.

تنعى مجلة «المجتمع» فضيلة الشيخ العلاّمة د. يوسف القرضاوي، يرحمه الله تعالى، الذي كان له باع عظيم في العلم والدعوة وأبواب الخير الكثيرة، وكانت له إسهامات عظيمة في مجلة «المجتمع» تربو على ثلاثمائة وثمانين عملاً ما بين فتاوى ومقالات وحوارات، وهو غيض من فيض مما قدمه للأمة العربية والإسلامية.

فباسمي وباسم أسرة التحرير في مجلة «المجتمع» وباسم العالم الإسلامي، ننعى ذلكم الشيخ الجليل والإمام العظيم، ونسأل الله جل وعلا أن يرفع درجته في عليين، وأن يخلف الأمة خير الخلف لخير سلف؛ فرحمه الله رحمة واسعة.

ونبشر قراء المجلة الكرام والمتابعين بأننا بصدد جمع تراث الشيخ في مجلة «المجتمع»؛ بحيث يخرج في إصدار قريباً بإذن الله تعالى؛ وفاء لذلكم العالم، راجين أن نقدم ما يستحق من أداء واجب الوفاء له.

رحم الله الشيخ الإمام، وأخلف الخير في متابعيه وفي طلابه وتلاميذه وفي العالم الإسلامي، اللهم آمين.■

الشيخ سالم حمد القحطاني
رئيس تحرير «المجتمع»

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

كتب- سيف باكير:

جموع غفيرة شيَّعته ودول أدت صلاة الغائب عليه..

العالم الإسلامي يودِّع علاَّمة العصر الإمام يوسف القرضاوي

فقَدَ العالم الإسلامي، يوم الإثنين 26 سبتمبر 2022م، العلاّمة المجدد الإمام يوسف القرضاوي، عن عمر ناهز 96 عاماً، بعد مسيرة حافلة في ميادين العلم والدعوة والاجتهاد.

وقد شارك في جنازة الشيخ الراحل آلاف المشيعين، وأدى الصلاة عليه عدد من كبار العلماء والمسؤولين في مسجد الشيخ محمد عبدالوهاب بالعاصمة القطرية الدوحة.

وأُقيمت صلاة الغائب على روح الشيخ في المسجد الأقصى المبارك، ومسجد الفاتح بمدينة إسطنبول التركية، كما أعلنت هيئات إسلامية في ماليزيا وموريتانيا إقامة صلاة الغائب في كبرى مساجدهما.

ولد الشيخ د. يوسف القرضاوي في 9 سبتمبر 1926م، بقرية صفط تراب بمركز المحلة الكبرى في محافظة الغربية المصرية، وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره، وهو يحمل الجنسية القطرية.

والتحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية، وكان دائماً في الطليعة، وكان ترتيبه في الشهادة الثانوية الثاني على مستوى مصر رغم ظروف اعتقاله في تلك الفترة.

التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية عام 1953م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه، ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية عام 1954م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر.

وفي عام 1958م، حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب، وفي عام 1960م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسُّنة من كلية أصول الدين، ثم حصل على الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية عام 1973م عن «الزكاة وأثرها في حل المشكلات الاجتماعية».

«علماء المسلمين»: الأمة الإسلامية فقدت عالماً محققاً من علمائها المخلصين

عمل د. القرضاوي فترة بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر، ونقل بعد ذلك إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد.

وفي عام 1961م أعير لدولة قطر

عميداً لمعهدها الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد التي جمعت بين القديم النافع والحديث الصالح، وفي عام 1973م أنشئت كليتا التربية للبنين والبنات نواة لجامعة قطر، فنقل إليهما ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي عام 1977م، تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي 1990م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السُّنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، وظل قائماً بإدارته حتى وفاته.

حصل العلامة الراحل على جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي لعام 1411هـ، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413هـ، وحصل كذلك على جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام 1996م، كما حصل على جائزة السلطان حسن البلقية (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي لعام 1997م.

كان الشيخ القرضاوي أيضاً عضواً في عدة مجامع ومؤسسات علمية ودعوية عربية وإسلامية وعالمية، منها المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، ومركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد.

وحصل الشيخ الراحل على المرتبة

الرئيس التركي: خير مثال يحتذى به للتوفيق بين مبادئ الإسلام والحياة

الثالثة من بين 20 شخصية على قائمة أكثر المفكرين تأثيراً على مستوى العالم، وذلك في استطلاع أجرته مجلتا «فورين بوليسي» الأمريكية، و«بروسبكت» البريطانية.

وللقرضاوي ما يزيد على 170 من المؤلفات، كما شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات والبرامج التلفزيونية خلال مسيرته العلمية والدعوية.

ويعد الشيخ القرضاوي، يرحمه الله تعالى، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، أسس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وتولى رئاسته، وأسس وترأس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

العالم الموسوعي

وفور انتشار نبأ وفاة الشيخ القرضاوي، توالت كلمات النعي والعزاء، مستذكرة مآثره وخصاله في مختلف مجالات العلم الشرعي والفكر الدعوي.

فمن جانبه، أعرب **الرئيس التركي رجب طيب أردوغان**، خلال اتصال هاتفي مع نجله عبدالرحمن يوسف القرضاوي، عن تعازيه لأسرة القرضاوي، سائلاً الله له الرحمة.

الشافعي: من أهم ما يحسب له تصديه لظاهرة التكفير بالحركات الإسلامية المعاصرة

وقال أردوغان: إن المرحوم لم يتنازل طوال حياته عما آمن به، وكان خير مثال يحتذى به للتوفيق بين مبادئ الإسلام والحياة، داعياً له بقوله: أكرمه الله الجنة وتغمده برحمته.

ومن قطر، نعى **نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل ثاني**، القرضاوي، في تغريدة قائلاً: إنه أفنى عمره في خدمة دينه وأمّته.

وإلى جانب نعي رسمي رفيع المستوى من تركيا وقطر، تقدّمت عشرات الشخصيات العربية والإسلامية من مختلف البلدان بنعي للأمة بوفاة الإمام القرضاوي.

أما الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي أسسه الشيخ، رحمه الله، فقال: انتقل إلى رحمة الله سماحة الإمام يوسف القرضاوي، الرئيس المؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي وهب حياته مبيناً لأحكام الإسلام، مضيفاً: فقدت الأمة الإسلامية عالماً محققاً من علمائها المخلصين الأفاضل.

وعلى حسابه على «تويتر»، اكتفى نجل الشيخ القرضاوي، **عبدالرحمن يوسف** بالقول: «ترجّل الفارس».

كما نعاه **عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف د. حسن الشافعي**،

وداعاً.. الإمام المجدد
د. يوسف القرضاوي

وفد جمعية الإصلاح الاجتماعي في تشييع جنازة الإمام يوسف القرضاوي

قائلاً: إن الفقيد الشيخ يوسف القرضاوي كان نموذجاً للعالم والفقيه الموسوعي المعاصر، وإنه جمع بين التأليف في مجالات الفقه والعقيدة والأدب.

وأضاف الشافعي، خلال مشاركته في برنامج «المسائية» على قناة «الجزيرة مباشر»، أن من أهم ما يحسب للشيخ القرضاوي أنه تصدى وانتقد ظاهرة التكفير في الحركات الإسلامية المعاصرة، في مصر والعالم العربي والإسلامي.

واعتبر الشافعي أن هذا الاختيار في نقد مظاهر الغلو في العقيدة الإسلامية جعل من الشيخ القرضاوي رائد الوسطية والفكر الوسطي في الإسلام بالعصر الحديث والخصم العنيد للفكر التكفيري.

وقال: إن التجربة الفكرية الطويلة للشيخ القرضاوي جعلته يصل إلى أن هذا الفكر دخيل على الدعوة الإسلامية، مضيفاً أن تخصص العلاَّمة الراحل مدة من عمره في فقه النوازل جعله يقدم حلولاً ناجعة للعديد من القضايا الجديدة والطارئة.

من جانبه، قال **رئيس مركز تكوين العلماء الشيخ الموريتاني محمد الحسن الددو** في حق الشيخ الفقيد: إن الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله، عاش قرناً في خدمة هذا العلم والدين وبذل فيه كل جهوده.

وأضاف: يكفي أنه ما توفاه الله حتى انفرد بالإمامة، مشيراً إلى أنه لم يكن في عصره في هذا الزمان أكبر منه حظاً من ميراث رسول الله، فكان الوارث الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الزمان.

هذا، وقدَّم وفدٌ من جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت العزاء في وفاة الإمام يوسف القرضاوي.

وقال **رئيس مجلس إدارة «الإصلاح» د. خالد المذكور**، عقب تشييع جنازة الفقيد: إلى أبناء وإخوان وأخوات الشيخ الراحل، عظَّم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، في وفاة عالم الأمة، داعياً المولى عز وجل أن يعوّض المسلمين خيراً عن فقدان الشيخ الراحل الذي كان عَلَماً من أعلام الإسلام.

كما نعاه **عميد كلية الشريعة سابقاً في جامعة الكويت د. عجيل النشمي**، قائلاً: رحم الله الشيخ يوسف القرضاوي شاعر الدعوة، والخطيب المفوّه، مؤصل فقه الوسطية، بلغ مرتبة الاجتهاد في فقه المعاملات والمقاصد والمآلات والأولويات والأقليات.

من جانبها، قالت **جماعة الإخوان المسلمين في مصر**، في بيان لها: إن الشيخ الراحل د. يوسف القرضاوي يعد من الشخصيات العلمية والفكرية البارزة في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين، ويعتبر من أبرز دعاة الوسطية الإسلامية التي تجمع بين السلفية والتجديد، وتمزج بين الفكر والحركة، وتركز على فقه السنن وفقه المقاصد وفقه الأولويات، وتوازن بين ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر، وتتمسك بكل قديم نافع، وترحب بكل جديد صالح.

صوت فلسطين

بدورها، استذكرت **حركة المقاومة**

ولد الددو: لم يكن في عصره في هذا الزمان أكبر منه حظاً من ميراث رسول الله

الإسلامية (حماس) مواقف الإمام القرضاوي مع فلسطين، وقالت، في بيان: إن الشيخ العلاَّمة القرضاوي حمل خلال حياته الحافلة بالجهاد والتضحية والفكر والدعوة والتربية لواء الدفاع عن قضية فلسطين.

وأكدت «حماس» أنَّ فلسطين والأمَّة الإسلامية برحيل العلاَّمة القرضاوي فقدت عَلَماً من أعلامها الكبار، وإماماً من أئمتها البررة، وصوتاً صادحاً بالحق والدفاع عن فلسطين والأمَّة، ولساناً بيّناً يوضّح لها طريق الهداية والفلاح، وفكراً وسطياً نيّراً يحفظها من الانحراف والزيغ، ومُعلِّماً ومربياً وموجِّهاً ومجدِّداً يرشدها في مسيرتها نحو سبل النهضة الرّاشدة واستعادة الشهود الحضاري.

كما نعت **هيئة علماء فلسطين** الإمام القرضاوي، قائلة: لبى نداء ربه عز وجل عقب حياة حافلة جاوزت 96 عاماً أوقفها على نشر العلم والدّعوة إلى الله تعالى وتربية الأجيال، والعمل الإسلاميّ الدّؤوب، ونصرة قضايا الأمة كلّها وفي الصّدر منها قضيّة فلسطين والقدس والمسجد الأقصى المبارك.

يذكر أن الإمام القرضاوي مُنع من دخول الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بسبب تأييده للعمليات التي تنفذها المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ووصفها بأنها «استشهادية»، ولموقفه الداعم من القضية الفلسطينية كلها.

كما نعته **جماعة الإخوان المسلمين في الأردن**، واصفة إياه بأنه الداعية الذي نشأ في حاضنة الدعوة الإسلامية المعاصرة جماعة الإخوان المسلمين، واستلهم مشروعها الحضاري النهضوي، وفهمها الشمولي للإسلام، وطاف الدنيا مبشراً برسالة الإسلام العظيمة، وساهم في تدفق الصحوة الإسلامية المباركة في أوصال العالم الإسلامي، وبذل جهداً كبيراً في ترشيدها وتصويب مساراتها.

كما نعاه **المجمع الفقهي العراقي** أيضاً، بقوله: إن الفقيد يُعد علماً راسخاً من أعلام الأمة الإسلامية، ومن أشهر الفقهاء والأصوليين والمفكرين المصلحين، وأبرز المصنفين في الفقه وأصوله وعلوم القرآن والحديث والعقيدة والفكر والدعوة والأدب.

رائد الفكر الوسطي

وقال **الداعية والمفكر الكويتي د.محمد العوضي**: مذ كنا طلبة كانت كتبه غذاءً فكرياً لنا، شارحاً لمفاهيم الإسلام الكبرى بلغة عصرية وأسلوب جميل وشواهد من نصوص الشرع والتراث والمعاصرة.

وأضاف العوضي: نحسبه تجرع في سبيل الله مرارة السجن والتعذيب والتهجير، وظل ثابتاً على حبه لأمته ودفاعه عن دينه.

وكتب **المفكر والمؤرخ الليبي د. علي الصلابي**: رحل الإمام المتفرد وعلامة الأمة وفقيه العصر ورائد الفكر الوسطي وأحد أبرز أعلام الحركة الإسلامية في عصرنا، صاحب مذهب التيسير في الفتوى بعلم، والتبشير في الدعوة بحلم، بعد قرن حافل بخدمة الدين الإسلامي ونشر العلم الصحيح وجمع كلمة المسلمين.

وأضاف: رحل الشيخ بعد 96 عاماً وقف جُلها على نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى وتربية الأجيال، والعمل الإسلامي الدؤوب، ونصرة قضايا الأمة من مشرقها إلى مغربها.

«حماس»: حمل لواء الدفاع عن فلسطين والمسجد الأقصى

الصلابي: رحل بعد قرن حافل بخدمة الإسلام ونشر العلم الصحيح وجمع كلمة المسلمين

ومن باكستان، **نعى أمير الجماعة الإسلامية سراج الحق**، القرضاوي، في تغريدة باللغة العربية، قائلاً: إنه وهب حياته لخدمة الإسلام والتربية والدعوة، والدفاع عن قضايا الأمة.

كما نعته هيئات ومؤسسات إسلامية عديدة كوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ورابطة علماء فلسطين، وهيئة علماء المسلمين في العراق، والمجلس الإسلامي السوري، ومنتدى الوسطية في أفريقيا، والحزب الإسلامي العراقي، وحزب العدالة التنمية المغربي، وحزب النهضة الإسلامي بطاجيكستان، وندوة العلماء في لكناؤ، ومجلس العلماء المسلمين في نيجيريا، وجماعة الدعوة والإصلاح في إيران، ورابطة الشباب النموذجي، وجامعة دار الهدى الإسلامية بالهند، ودار العلوم الإسلامية بالهند، والجماعة الإسلامية بالهند، وديوان الوقف السُّني بالعراق، ورابطة علماء الأردن، ورابطة علماء المسلمين.. وغيرها.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

تحقيق- محمد الجيزاوي:

علماء ودعاة لـ«المجتمع»:
رحيل الإمام القرضاوي خلَّف ثُلْمة لا تُسد

رحل عن دنيانا عَلَم من أعلام العلم الشرعي والاجتهاد الفقهي الذين أضاؤوا سماء العالم الإسلامي بعلمهم واجتهاداتهم وتجديداتهم في مجالات الفقه المعاصر في شتى فروع العلوم الشرعية، رافعاً لواء الدعوة إلى الله تعالى والتصدي للحكام المستبدين ومناصرة ضعفاء المسلمين في مختلف ربوع الدنيا في كشمير وبورما ووسط أفريقيا والهند وسريلانكا وأوروبا وأمريكا.

رحل رائد فقه الأقليات والحضور الإسلامي في المجتمعات الغربية، رحل ابن قرية صفط تراب بمحافظة الغربية في مصر، وهو مهاجر منفيّ مُبعَد عن وطنه الصغير، فلقي ربه في حضن وطنه الكبير العالم الإسلامي الذي طالما بشَر به ضد الحدود الضيقة التي نصبها الاستعمار بين بلدان العالم العربي والإسلامي؛ فلقي ربه في سماء الدوحة عاصمة قطر لتكون نقطة حياته الأخروية.

وفي هذه السطور، سنلقي الضوء على بعض مناقب الشيخ العلاّمة المجدّد د. يوسف القرضاوي وخصاله على ألسنة بعض تلامذته ومحبيه.

حنفي: مكن بفقهه المسلم الأوروبي من العيش بدينه والحفاظ على هويته والقيام برسالته الحضارية

البداية من ألمانيا، مقر المجلس الأوروبي للإفتاء الذي أسسه الإمام القرضاوي، يقول الأمين العام المساعد للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث د. خالد حنفي، لـ«المجتمع»: إن الإمام العلاَّمة الفقيه المجتهد المجدد الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله وتقبله في الصالحين، من أوائل العلماء المعاصرين الذين أسسوا ونظّروا لفقه الأقليات؛ بما كتب في كتابه «فقه الأقليات»، وبجملة الفتاوى التي بثها ونشرها في كتبه بأجزائه المختلفة «فتاوى معاصرة»، ثم بلور كل هذا في مؤسسته الكبرى التي أسسها وترأسها حتى عام 2018م، وهي المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث الإسلامية.

وأضاف حنفي: لا شك أن القرضاوي بهذا الإسهام حقق جملة من المقاصد والفوائد والمنافع الكبرى سواء للمسلمين في الغرب، وللمجتمعات والحكومات الغربية، وللفقه المعاصر وحركة الاجتهاد بشكل عام غير عابئ بما تعرض له من الهجوم والاعتراض والتشنيع والأذى الذي تعرض له بسبب هذه الفتاوى، سواء من علماء مشهود لهم بالعلم، أو من حكومات ومؤسسات ودول، أو من تيارات نَصّية سلفية لم يرُق لها طرح الشيخ القرضاوي، رحمه الله تعالى.

واستطرد: وأهم المقاصد التي حققها ببناء فقه الأقليات الذي تبلور بعد ذلك، وصرنا نصطلح عليه بفقه الحضور الإسلامي في الغرب، واستبعدنا مصطلح فقه الأقليات بمعية شيخنا القرضاوي.

ومن المقاصد التي تحققت للمسلمين في الغرب أيضاً، يضيف حنفي، أنه أسس لهذا الوجود، ومكن المسلم الأوروبي من العيش بدينه والحفاظ على هويته والقيام بدوره ورسالته الحضارية في المجتمعات الأوروبية، وكان يرفع الشيخ شعار «محافظة بلا انغلاق واندماج بلا ذوبان»، ونجح، إلى حد كبير، في تحقيق هذه المعادلة من خلال طرحه وخطابه والأدبيات التي أنتجها المجلس الأوروبي للإفتاء.

الحضور الإسلامي بالغرب

ثم انتقل الشيخ من هذا الشعار إلى شعار «المواطنة الصالحة»؛ أننا أمام

مواطن أوروبي مسلم له حقوق وعليه واجبات، ورسخ لهذا المبدأ وهذه الفكرة من خلال كل الفتاوى التي صدرت للمسلمين في أوروبا، وعمل على توطين الإسلام في الغرب، وهذا يتجلى في العديد من الفتاوى كالتأسيس الشرعي للمشاركة في الانتخابات النيابية وفتوى شراء البيوت بالقروض من البنوك التقليدية في الغرب، وهي من الفتاوى التي رسخت وجود الإسلام في الغرب.

ويشير حنفي إلى ما أحدثه وجود فقه الأقليات وجهد الشيخ القرضاوي في هذه الدائرة؛ حيث أحدث حراكاً فقهياً على الساحة الاجتهادية بشكل غير مسبوق، وهيأ البيئة الفقهية لقبول الاجتهادات الجديدة؛ لأنه جمع بين الاجتهادين؛ الانتقائي والإنشائي، فالأمة في بداية الأمر والساحة العلمائية والدائرة الفقهية اعترضت وانتقدت كثيراً حتى فكرة الاجتهاد الانتقائي وفكرة الخروج عن دائرة الأئمة الأربعة والدائرة الفقهية المعروفة، لكن المجلس الأوروبي للإفتاء بقيادة الشيخ القرضاوي بدأ يتجه للاجتهاد الانتقائي المنضبط بأدلته، ووفق قواعده من خارج المذاهب الأربعة كمذاهب الفقهاء أو غيرهم من الأئمة المتبوعين أو فقهاء الصحابة أو التابعين كأئمة السلف مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن الجوزي.. وغيرهم؛ فالشيخ القرضاوي كان يتبنى هذه المدرسة، وهو ما عمل عليه المجلس الأوروبي للإفتاء مثل ميراث غير المسلم من المسلم، وبقاء المرأة المسلمة تحت زوجها الكافر إذا سبقته بالإسلام وغير ذلك من الفتاوى.

ويختم د. حنفي: ثم انتقل بعد ذلك إلى الاجتهاد الإنشائي والإبداعي أيضاً، وإن كان أقل من أخيه إلا أنه أحدث حراكاً فقهياً على الساحة الاجتهادية والعلمائية العامة سواء في الشرق أو الغرب، أيضاً نظّر الشيخ لفقه الحضور الإسلامي في الغرب والانتقال من فقه الترخيص إلى فقه التأسيس؛ لأن الوجود الإسلامي اختلف، وقد حمى هذه المجتمعات وتلك الدول من خطر الغلو والتطرف والتشدد والعنف على نحو مبكر جداً، وهو الأثر الملموس بصورة كبيرة جداً للمجلس الأوروبي للإفتاء ولمؤسسه الشيخ القرضاوي.

سبعاوي: كان سداً منيعاً في وجه الإلحاد والطائفية والجماعات التكفيرية

إمام الوسطية

ومن العراق، يقول الباحث والكاتب السياسي العراقي حسين صالح سبعاوي:

إن مآثر الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله، كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ إذ يعتبر الشيخ القرضاوي إمام الوسطية في هذا الزمان، ومؤسساً لهذا النوع من الفقه؛ فهو وسطي دون ذوبان، وحازم بدون تشدد، كما أن ما يميز الشيخ أنه رجل موسوعي وليس متخصصاً بنوع واحد من العلوم فقط؛ فهو فقيه وأديب وعالم باللغة وشاعر، وداعية ومفسر،

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

وعالم في الأصول وعلم الحديث، وبرزت اجتهاداته في علوم الآلة كما برزت في علوم الشريعة والجهاد.

ويضيف: كما أن من مآثر الشيخ القرضاوي أنه لم ينشغل في خلافات المسلمين الفرعية، ولم ينشغل بالرد على خصومه؛ بل كان يعرف ما يريد ويسير بخطى ثابتة نحو هدفه الذي رسمه في نصرة الإسلام والمسلمين ولا يلتفت إلى المخالفين، ولا سيما دوره الرائد في مواجهة الظلم والظالمين لكي ينال المسلمين حريتهم ويتخلصوا من العبودية، في ظل مفهوم الإسلام الوسطي الذي نشره لكيلا يترك جمهور المسلمين فريسة للغلو التكفير والتطرف.

وأشار الباحث سبعاوي، لـ«المجتمع»، إلى أن وسطية القرضاوي منبعها الكتاب والسُّنة وأقوال السلف، وليس كما يريد الحكام الظلمة والمتلونون، أو كما يريد الناس على هواهم، وكان يحترم المخالف لكنه لا يتنازل لإرضائه؛ بل كان يقف عند الدليل وما تقتضيه مصلحة المسلمين العامة، وكان، يرحمه الله تعالى، لا تأخذه في الله لومة لائم في قول كلمة الحق خاصة في وجه الدكتاتوريات بكل أنواعها وأشكالها، ووقف بجانب الشعوب المظلومة وساندها في مطالبها ولا سيما مواقفه من «الربيع العربي» الذي انحاز فيه إلى الشعوب ولم يركن إلى طغمة الحكام الظلمة.

وبالنسبة لجهود الشيخ في مواجهة الإلحاد، أضاف الباحث العراقي أن القرضاوي كان صخرة وسداً منيعاً في وجه الموجات الإلحادية والطائفية وأفكار الجماعات التكفيرية، وكان عطاؤه العلمي والدعوي لا يتوقف رغم كبر سنه.

وأوضح سبعاوي أن القرضاوي لم يكن عالماً كهنوتياً ولا مقلداً ولا جامداً؛ بل كان إماماً مجتهداً أسس للفكر الوسطي مدرسة كبيرة لها أتباع بالملايين، ففي الحقيقة يعجز الباحث أن يلم بجميع مآثر الشيخ، ويعجز أن يجد الكلمات التي تليق برثائه، فالمصاب جلل، والفقد عظيم، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

من ليبيا، يوجه خالد الشريف، وكيل وزارة الدفاع السابق بأول حكومة ليبية بعد ثورة 2011م، العزاء للأمة العربية والإسلامية في العلاَّمة الراحل د. يوسف القرضاوي، رحمه الله، مؤكداً أنه من العلماء الذين أمضوا حياتهم دعاة إلى الله تعالى منذ شبابه، وكان من الذين يحملون هَمَّ الدعوة ونصرة المسلمين بما أوتي من علم، وما زلنا نتذكر كيف كنا نقرأ كتبه عندما كنا شباباً ونستفيد من علمه وتجربته، رحمه الله.

وأضاف، لـ«المجتمع»، أن الشعب الليبي كذلك لا ينسى دوره في مناصرة قضايا الأمة الإسلامية من شرقها إلى غربها، وكلما واجه بلد من بلاد المسلمين محنة كان الشيخ له موقف المسلم الغيور على دينه وإخوانه المسلمين، مناصراً لهم، وداعياً الأمة إلى الدفاع عنهم.

الشريف: الشعب الليبي لا ينسى دوره في مناصرة قضايا الأمة من شرقها إلى غربها

مصاب جلل

ومن مصر، يقول عضو برلمان ثورة 25 يناير 2011م د. محمد عماد صابر: أصبحت الأمة الإسلامية أمام حدث عظيم ومصاب جلل هزّ وجدانها وزلزل كيانها وألهب مشاعرها؛ وهو خبر رحيل العلاَّمة المجدّد الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله تعالى، الذي أحبه الجميع كبيراً كان أم صغيراً، ولا سيما القائمين على العمل الإسلامي في مختلف أنحاء العالم عموماً، وفي الساحتين الإسلامية والعربية خصوصاً.

وأضاف صابر، لـ«المجتمع»، أن الشيخ القرضاوي يعرفه الشعب المصري ويعرفه العرب والمسلمون ويعرفه العالم أجمع، يصدح بالحق مهما كانت التضحيات في قوة وذكاء، لا يخاف من أحد ولا يخوف أحداً، أسلوبه رقيق وفهمه عميق وكلامه دقيق، ويدلك على الخير من أقصر طريق، يبهرك ويمتعك ويقنعك، وتسمع منه الجديد والمفيد، فهو شاعر وأديب ومفتٍ وفقيه، جهده متواصل لا ينقطع ولا ينفصل، زياراته تاريخية إلى كل بلدان العالم، لقاءات وحوارات ترجمت إلى أفكار وبرامج وخطط وأعمال.

وأشار إلى أن قضايا الأمة الإسلامية لم تغِب عن وجدان وضمير العلاَّمة الرّاحل؛ فكان دائماً في حركة مستمرة وعمل دؤوب وزيارات لا نظير لها لمختلف الأقطار يلازمه حب وترحيب في كل مكان.

وعن صفات الإمام القرضاوي، يضيف صابر أنه كان الأديب الملهم، والداعية الرباني، والسياسي المحنك، والشاعر المرتب؛ فتارة نراه يعلم النّاس

صابر: كان أديباً ملهماً وداعية ربانياً وسياسياً محنكاً

الحلال والحرام، وما يجوز وما لا يجوز، وتارة أخرى يُفصّل لهم في مقاصد الشريعة وفقه الواقع، وكثيراً ما نراه يوضح السياسات الشرعية، ويركز من أجل الحفاظ على الثوابت ومراعاة الاجتهاد والتجديد، وكل ذلك ينهله نهلاً من معين القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة وبأسلوب سهل ومبسط، وبالطبع، وفي كل الأحوال لم تغب عن فضيلته القضية المركزية والأهم وهي فلسطين المحتلة وبيت المقدس.

وواصل صابر: لقد خسر العالم الإسلامي اليوم قامة كبيرة من قامات العلم والفقه والاجتهاد، وخسرت أيضاً مصر المحروسة ابنها البار، العالم الأزهري والفقيه المستنير، مصر التي أحبها وأخلص لها وعشق ترابها، وما هجرها إلا رغماً عنه من ظلم حكامها، والتي كان يزورها في فترات متقطعة من ستينيات وتسعينيات القرن الماضي، فلطالما أحبّها وأحبّته واشتاق إليها واشتاقت إليه؛ ثم زارها عقب ثورة 25 يناير المجيدة إماماً وخطيباً لصلاة الجمعة بميدان التحرير فيها وخلفه الملايين.

ومن لبنان، يقول المسؤول السياسي للجماعة الإسلامية في طرابلس والشمال إيهاب نافع: إن الشيخ القرضاوي كان شيخاً مجاهداً، قضى شطراً من عمره في سجون الطغاة؛ لأنه كان يحمل فكراً نيّراً، يضيء الطريق لشباب الأمة، فرغم السجن والتعذيب خرج من سجنه يدعو للوسطية والاعتدال، وينبذ التطرف والغلو أينما وجد، أصّل لفقه الاغتراب، وألّف كتباً بهذا الخصوص حيث لم يسبقه أحد لذلك، وناصر قضية فلسطين والمسجد الأقصى، ولم يخضع لسياط السلاطين الظلمة.

الإمام الثائر

ومن المغرب، يقول العضو المؤسس للهيئة المغربية لنصرة القدس بالرباط محمد الرياحي الإدريسي: إن لكل أمة رموزها وروادها وأوتادها، ومن بين رموز هذه الأمة العلاَّمة القرضاوي، رحمه الله وأجزل له العطاء على ما قدم خدمة للإسلام والمسلمين، لقد كرس حياته في العلم والمعرفة والدعوة، فكان سبباً في التزام الآلاف من الشباب وابتعادهم عن التطرف والعصبية المقيتة.

نافع: رغم السجن والتعذيب خرج يدعو للوسطية والاعتدال وينبذ التطرف والغلو

الإدريسي: كان مجاهداً ثائراً على الطواغيت رافضاً للاستبداد داعياً لحرية الشعوب

وأضاف الإدريسي، لـ«المجتمع»، أن الشيخ لم يكتفِ بهذا، بل كان مجاهداً ثائراً على الظلم والطواغيت، رافضاً للاستبداد والمستبدين، داعياً لحرية الشعوب وحقها في العدل والحرية والكرامة الإنسانية، كما كان محباً لفلسطين ومدافعاً عن المسجد الأقصى المبارك، مهتماً بالقضية ومسانداً لها في كل المحافل والمناسبات، ويكفيه قولته الشهيرة التي أعلنها بعد الثورة المصرية عام 2011م خلال خطبته بميدان التحرير: «أتمنى أن أصلي في المسجد الأقصى محرَّراً».

كما كان، رحمه الله، قامة علمية استثنائية كبيرة ومنارة خير في الأمة، ألَّف في مجالات عدة، واستطاع بفطنته ويقظته أن يكون مؤلفاً وفقيهاً وأديباً ألمعياً ومفتياً، استطاع تطويع الفتوى لما يقتضيه زمانه، ويكفيه فخراً أنه ترك مكتبة غزيرة ثرية ستبقى صدقة جارية يرثها جيل بعد جيل، رافعاً شعار «لا يضرنا أن نعمل ونخطئ، بل يضرنا أن نتقاعس ونقعد، وقد رفع الله الجناح عن المخطئين، ولم يرفعه عن القاعدين».

وأوضح الإدريسي أن العلاَّمة الراحل

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

كان وسطي المنهج، مبشراً غير منفّر، داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، مصلحاً لأحوال الأمة منغمساً في همومها، حتى ذاق من محنها وشدائدها التي لم تنل من عزيمته وفكره وهمته، فهو بلا منازع إمام الوسطية في عصر انتشر فيه الانحلال والغلو العلماني والديني، وهنا تقف كتبه وتنظيراته في تحرير المفاهيم الإسلامية الصحيحة في فهم القرآن وضوابط التعامل مع السُّنة وأصول فقه الحلال والحرام ومستجدات الزكاة المعاصرة والحج ونوازله، ومقاصد السياسة الشرعية وفقه الأقليات وغيرها تقف شاهدة على وسطيته واعتداله، رحمه الله تعالى.

ربح البيع!

ومن السويد، قال أمين عام رابطة علماء الأزهر الشريف بالخارج الداعية أشرف غالي، لـ«المجتمع»: ربح البيع أبا محمد، وبورك لك في صفقة يمينك، مضيفاً: الإمام القرضاوي من أعظم ما منَّ الله به على البشرية في عصرنا هذا؛ فقد تمتع بالعمر الطويل المملوء بالعطاء والإنتاج، والميراث الضخم من الفكر والمؤلفات والدواوين والكتب، والتفاعل مع قضايا الأمة في كل ربوع الكوكب، والثبات على الحق والرباط حتى الممات طيلة هذا العمر.

غالي: الإسلام خسر واحداً من أكبر وأذكى من دافع عنه في العصر الحديث

وأضاف أن خسارة الأمة كبيرة؛ فالإسلام خسر واحداً من أكبر وأذكى وأشهر من دافع عنه في العصر الحديث، وخسر العلم رائده الذي ينفي عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وخسرت القدس وفلسطين ابنها البار الذي لم ينسَها ولم يتوقف نبض قلبه عن حبها إلا حينما توقف القلب تماماً، وهو ما يدعو تلاميذ ومحبي الشيخ أن ينتفضوا ويحملوا فكره وعلمه وهمه وينفروا ليكملوا مسيرته ويستنيروا بسيرته حتى يرفع ذلك قدرهم كما رفع قدر شيخهم.

ومن اليمن، يقول الكاتب والباحث ياسين التميمي: إن الشيخ يوسف القرضاوي إمام عصره، وفقدانه في هذه المرحلة المضطربة من تاريخ الأمة خسارة فادحة؛ فقد كان ملء الدنيا في حضوره العلمي واجتهاده الشرعي، من غير غلو أو تطرف، وهو بهذا النهج نجح في أن يكون رائد مدرسة فقهية معاصرة عمقت وعي الأمة بدينها وأدمجتها في عالم يتغير بسرعة البرق، وتتعرض فيه القيم الدينية والأخلاقية لاختبارات صعبة.

وأضاف التميمي، لـ«المجتمع»، أن العلامة القرضاوي لم يتوانَ في جمع الأمة على كلمة واحدة، يشهد له في ذلك الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي شكل مبادرة للنوايا الحسنة هدفها جمع المذاهب على كلمة سواء، قبل أن تتزايد

التميمي: فقدانه في هذه المرحلة المضطربة من تاريخ الأمة خسارة فادحة

التحديات أمام مسعى نبيل كهذا، كما تكمن عظمة هذا الرجل وسره في هذا الحضور الكبير الذي لم تسعه بلده مصر، حينما انتدبته الأقدار لمقارعة الظلم والفساد والمساهمة المؤثرة في إنجاح دعوة العصر التي أحدثت تغيرات هائلة في وعي الأمة بدينها وتاريخها ودورها.

واختتم التميمي بقوله: يحق للأمة أن تبكي وتحزن لرحيله، يرحمه الله، ويحق لها أن تفخر بالإرث العلمي والفقهي الشرعي وبإبداعاته المتعددة في شتى صنوف المعرفة التي ستبقى خالدة ومعها اسمه وذكراه.

موقفه من وحدة اليمن

بينما يقول الكاتب الصحفي اليمني وديع عطا، تلقى غالبية الشعب اليمني بأسف وحزن بالغ نبأ وفاة الشيخ الجليل د. يوسف القرضاوي، لما يعنيه لهم من رمزية تعكس عظمة العالم العامل والداعية المثالي في فكره وأسلوبه العقلاني الفريد؛ حيث مثَّل الشيخ القرضاوي بالنسبة له شخصياً مشعلاً استنار بأفكاره وآرائه، وكان له التأثير

عطا: مواقفه مع اليمنيين لا تُنسى فقد أنكر مجرد التفكير في تقسيم اليمن

المباشر في أبناء جيله من خلال منتجاته الفكرية سواء المكتوبة أو المسموعة أو المرئية.

وأوضح أن مواقف العلامة القرضاوي، رحمه الله، مع اليمن واليمنيين لا تُنسى مهما طال الزمن؛ حيث إنه من موقعه رئيساً لاتحاد علماء المسلمين أبدى حرصه على منع الفتنة، وأعلن، في يناير 2010م، مبادرته للصلح بين السلطة ومليشيا الحوثي، لكن الرئيس المخلوع الراحل علي صالح لم يتفاعل مع تلك المبادرة، وحين قامت ثورة الشباب الشعبية السلمية، في فبراير 2011م، باركها الشيخ القرضاوي وحثَّ على التمسك بسلميتها.

وحين نجحت الثورة في إزاحة صالح قال الشيخ، في تصريح شهير: نريد للشعب اليمني أن يسترد حريته وكرامته بعد أن ظل ثلث قرن من الزمان محكوماً بهذا الحكم الذي أرجع الشعب للوراء، نريد لليمنيين أن ينتقلوا إلى بلد حر ديمقراطي يجدون فيه إرادتهم ويرتقون بأنفسهم، وتساءل القرضاوي: لماذا يبقى اليمن خلف الشعوب وهو شعب مذكور في القرآن في أكثر من سورة؟! ولماذا يفرض عليه هذا التأخر والتقهقر من أجل الحكام الطغاة الظلمة؟!

وعن موقفه الأصيل من الوحدة اليمنية، فإن العلاَّمة القرضاوي أنكر في أكثر من موقف مجرد التفكير في تقسيم اليمن الموحد، وقال: لا يجوز أن يكون هناك تفكير في تقسيم اليمن، ولماذا يُفرض على الدول العربية أن تقسَّم في حين أن الغرب يتحد ويتقوى؟!

ومن كندا، يقول محمد صلاح، المتحدث الإعلامي للمجلس الثوري المصري: إن الإمام القرضاوي أحد النماذج المضيئة من أبناء الأزهر الشريف الذي كان مستقلاً عن الحاكم، وصاحب رأي ورؤية؛ فتجاوزت سمعة علماء الأزهر، مثل القرضاوي، والغزالي،

صلاح: ثبّت مفاهيم الإسلام الشرعية ورفض فكرة فصل الدين عن الدولة

وغيرهما، حدود مصر إلى رحابة العالم الإسلامي؛ حيث واجه القرضاوي الحاكمَ الظالمَ وهاجرَ في سبيل تمسكه بالحق تاركاً وطنه.

وأردف صلاح، لـ«المجتمع»: واصل القرضاوي جهاده حتى لقي الله وهو علاَّمة عصره الذي ترك بصمة في تاريخ وعلوم الأمة الإسلامية وفتاواه التي أسست لوسطية واعتدال الدين الإسلامي، وتمكن من بناء جسور الثقة مع أصحاب الديانات الأخرى من غير المسلمين ومع أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى.

كما أنه ثبت مفاهيم الإسلام الشرعية في نطاق السياسات الشرعية، وأكد أن السياسة جزء أصيل من الإسلام، ورفض فكرة فصل الدين عن الدولة، كما أن القرضاوي تصدى للأفكار التكفيرية وحارب المغالاة التي يرفضها الإسلام، ورسخ لفكرة الاعتزاز بالإسلام وحرض الشباب المسلم على الاعتزاز بدينه وبثقافته الإسلامية التي فاقت حضارة الغرب والشرق في مفهومها الإنساني الحضاري الأوسع والأشمل.■

وداعاً.. الإمام المجدّد

د. يوسف القرضاوي

القرضاوي.. أمة في رجل

عبدالحي يوسف

داعية إسلامي

كانت حياة الشيخ العلاّمة يوسف القرضاوي مثالاً حياً لقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»؛ حيث عاش، رحمه الله، حياة طويلة ناهزت المائة عام، قضاها -والله حسيبه- في طاعة الله عز وجل نشراً للعلم، وبثاً للوعي، ومحاربة للزيف، ودفاعاً عن الحرمات، ودحضاً للشبهات، وترسيخاً للأخلاق، وتمتيناً لعرى الدين، باذلاً في ذلك نفسه ووقته وجهده وماله وفكره وعرضه، غير هيّاب ولا وَجِل ولا متردد.

وقد كتب عنه الناس كثيراً في حياته ومن بعد وفاته، وما أحسب كتابتي عنه تزيد عما قاله الناس وما يعرفه عامتهم، إلا أنني أتعبد الله عز وجل بذلك نشراً لمناقبه، وإذاعة لمآثره، وتنويهاً بفضائله، في زمان عمد فيه أهل السوء من حكام الجور ودعاة الفسق ومرضى القلوب إلى هدم القدوات أهل العلم والفضل؛ سعياً منهم لإبطال الحق وتسويد من لا يستحق، حين يتحدث الرويبضة ويتعالم الجاهل ويتفاصح العييّ، ويُمدَح أناس بما ليس فيهم، ويُلتمس للبرآء العيب ويُرمى الكريم السليم العفيف الحليم بضدّ ما عُرف عنه من خلال الكمال وخصال البر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد صدقَ نبينا صلى الله عليه وسلم حين قال: «سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصَدّق فيها الكاذب ويُكَذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين».

وهنا أسرد جملة من الحقائق التي يقر بها المخالف قبل الموافق:

أولها: أن الشيخ، رحمه الله، آتاه الله في العلم بسطة، وفي الأفق سعة، وفي اللسان طلاقة، وفي القلم رشاقة، وفي الأسلوب سلاسة، وفي الفكر متانة، فكان الخطيب المصقع والشاعر المفوَّه والكاتب المبدع، وهي صفات قلَّ أن تتوافر في رجل واحد؛ فإذا سمعت الشيخ خطيباً أسَرَك أسلوبه، وإن قرأت كتبه ومقالاته سرَّتك أفكاره، وحين ينشد الشعر ظننته فارس مضماره، فقد كان نسيج وحده وفريد دهره في الجمع بين هذه المواهب كلها ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 247)، وحقيق بنا اليوم أن نستحضر قول ابن عباس رضي الله عنه حين فرغ من دفن زيد بن ثابت رضي الله عنه: «دفن اليوم علم كثير».

ثانيها: لم يشغل نفسه بمعارك مع أهل القبلة بل كان داعية للاجتماع والوحدة؛ ولم يعنِّ قلمه بتتبع ما قال فلان وفلان؛ ولا الرد على من خالفه في مسألة أو مسائل؛ بل كان آخذاً بالعفو، آمراً بالعرف، معرضاً عن الجاهلين، وحين قيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا؛ كان جوابه: «إن معركتي ليست مع هؤلاء، بل معركتي مع خصوم الإسلام»! وما أبدعه جواباً من عالم عامل عرف هدفه فسلك سبيله ولم يشغل نفسه ببُنَّيات الطريق.

ثالثها: الشيخ، رحمه الله تعالى، كان رجاعاً إلى الحق متى ما تبيَّن له؛ لا يستنكف من ذلك ولا يرى فيه غمطاً لمكانة أو تقليلاً من قيمة، بل يعلن ذلك على الملأ؛ فقد طفق زماناً يدعو للتقارب مع بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، متحمّلاً في ذلك نقداً مريراً وأسئلة متتابعة، فلما بدا له أن ذلك التقريب المنشود «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء» لم يبالِ بأن يعلن البراءة منه، والرجوع عنه، وقد فاض به الكيل حين أدرك يقيناً أن القوم مخاتلون لا همَّ لهم إلا نشر باطلهم وترويج مذهبهم، وأنهم يتخذونه وأمثاله من الموثوقين ستاراً وحظاراً يتقون به ما يعلمه الراسخون من فساد حالهم وخبث طويتهم؛ فنطق بتلك الكلمات، مبيِّناً أنه طالما ناصحهم سراً وطلب منهم الكف عما يباعدهم عن الحق -من سب الصحابة والترضي على المجوسي قاتل عمر رضي الله عنه- ومحاولة نشر مذهبهم الباطل في ربوع أهل السُّنة، وما ذاك إلا لأنه من أهل العلم الذين أخذ الله عليهم الميثاق أن يبيِّنوه للناس ولا يكتموه.

لم يشغل نفسه بمعارك مع أهل القبلة بل كان داعية للاجتماع والوحدة

التجرد ظاهر في حياة الشيخ فلم يطلب رضا ذي سلطان ولا سعى لتملق العوام

كان يطرح الرأي الذي يقتنع به ولا يبالي بالثمن الذي يدفعه في سبيل ذلك

رابعها: التواضع والوفاء سمة بارزة في خلق الشيخ، رحمه الله؛ نلحظ ذلك في حواراته ومراجعاته، فلما أفتى الشيخ ابن باز، رحمه الله، عقيب «اتفاقية أوسلو» بجواز ذلك، رد عليه الشيخ القرضاوي في أدب جم وخلق عال يليق بأهل العلم والفضل، وتتابعت الردود بينهما، ولما توفي الشيخ ابن باز خفَّ الشيخ القرضاوي مسرعاً لحضور جنازته والعزاء فيه ضارباً أروع الأمثلة لأخلاق العلماء، وترى ذلك جلياً في نعيه لشيوخه وزملائه حين يموت أحدهم، وقلَّ أن تجد حلقة من حلقات برنامجه الذي كان ذائع الصيت «الشريعة والحياة» إلا وفيها شيء من ذلك.

خامسها: الشجاعة الأدبية جعلت من الشيخ قدوة للمنصفين، حيث كان يطرح الرأي الذي يقتنع به ولا يبالي بالثمن الذي يدفعه في سبيل ذلك؛ تلحظ هذا الخلق الكريم في كتبه حين يوازن بين الأقوال ويرجح في نَفَس فقيه وورع عالم نحرير، وحين كان إخواننا المرابطون في فلسطين لا يملكون إلا أجسادهم فأثخنوا في العدو قتلاً في تلك العمليات الاستشهادية -بداية التسعينيات من القرن الماضي- جهر، رحمه الله، بجوازها مدللاً ومعللاً، مخالفاً ما كان يفتي به بعض أفاضل أهل العلم من أنها عمليات انتحارية غير جائزة، وحين حكم البعض ببدعية المظاهرات -وذلك قبل «الربيع العربي»- كان جوابه بأنها ليست سُنة ولا بدعة، بل هي عادة ليس إلا، والأصل في العادات الإباحة، وقد دفع ثمن تلك الفتاوى حيث مُنع من دخول بلاد كثيرة ووُصم بأنه داعية الإرهاب؛ لكنه لما كان يصدر في فتواه عن علم راسخ لم يبالِ بتلك الحملات، ولم يتأثر بهاتيك الترهات.

سادسها: التجرد للحق ظاهر في حياة الشيخ؛ فلم يكن طالباً رضا ذي سلطان، ولا ساعياً لتملق جمهرة العوام؛ بل كان يعمد إلى الجهر برأيه ولو خالف هوى السواد الأعظم من الناس، انتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين وطفق خلال سني حياته يدافع عنها وينشر فضائل قادتها، ولم يمنعه ذلك من أن يكون انتماؤه الأعظم إلى أمة الإسلام، فكان داعية خير ورسول سلام، يسعى في التوفيق بين المسلمين والصلح بين المختلفين، وكان حماسه لكل مشروع إسلامي يخدم أمة الإسلام، لا يبالي عمن صدر.

كانت حياته كتاباً مفتوحاً يعرضه للناس فدوَّن سيرته مستعرضاً تفاصيلها

سابعها: كانت حياته كتاباً مفتوحاً يعرضه للناس، فدوَّن سيرته ومسيرته مستعرضاً تفاصيلها في أجزاء أربعة، مبيناً الأطوار العلمية والفكرية والاجتماعية التي مر بها، ذاكراً تفاصيل زواجه وأسفاره ومراحل دراسته وفترة سجنه، وذلك كله في أسلوب أخاذ وأدب رفيع.

وبعد، فلا بد من توجيه كلمة لأناس جهدوا في محاولة تغطية الشمس وحجب ضيائها أقول لهم: ما تنقمون من هذا الإمام العلم؟ أليس هو من وقف في وجه أهل العلمنة والإلحاد؟ أليس هو من رقم الكتب الكثيرة في تفنيد باطلهم والرد على شبههم؟ أليس هو من ذرع أرض الله مشرقاً ومغرباً يدعو إلى الله ويجلِّي حقائق الإسلام ويثبِّت أهله عليه؟ من منا لم ينتفع بكتاباته وأبحاثه؟ ومن منا لم يراجع ما دوَّنه هذا المحقق المدقق والبحر الزخار حين أراد تناول قضية شرعية محدثة؟

إننا جميعاً -طلبة العلم- مدينون بالفضل لهذا الشيخ الجليل والإمام العلم الذي سلخ من عمره نحو مائة سنة مجاهداً بلسانه وقلمه، يدعو إلى الله على بصيرة ويرد عن دين الله تعالى سهام أعدائه وشبهات المفتونين من أبنائه، وقد تعلمنا منه عفة اللسان وسلامة الصدر وسداد القول وإحسان الظن بالمسلمين، وما كانت شدته، رحمه الله، إلا في وجه الملاحدة والعلمانيين ودعاة الفتنة وأهل الزيغ.

اللهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

الفكر المقاصدي عند القرضاوي (1 - 2)

ملامح التجديد وتجليات التفعيل

د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

المراقب لحالة الدرس المقاصدي يجد فيها تكدساً كبيراً، منه ما هو نافع ومفيد وجديد، ومنه ما فيه تنظير وتأصيل وتحقيق وتدقيق، ومنه ما هو مكرور وحرث في اليمّ، ومنه ما فيه أخطاء، وما كتب فيها عن التأصيل والتنظير والتأطير أكثر بكثير مما كتب عن التفعيل والتنزيل والتشغيل، وكثيرون يجيدون الحديث عن التأصيل، وقليل من العلماء من يجيد التطبيق والتشغيل في العمل الفقهي والإفتائي؛ ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين.

ويأتي في صدارة هذه الثلة من الآخرين العلاّمة الإمام الشيخ يوسف بن عبدالله القرضاوي (2 ربيع الأول 1345 - 30 صفر 1444هـ/ 9 سبتمبر 1926 - 26 سبتمبر 2022م)، رحمه الله تعالى، الذي تسري المقاصد وفكرها فيما يكتب وفيما يخطب كما تسري الروح في البدن، وتجري في مؤلفاته كما تجري الدماء في العروق، وهي ميزة لا تتوافر إلا لأولي العزم من العلماء الذين تضلعوا من علوم الشريعة، وتشبعوا من مقاصدها وحقائقها، وقليل ما هم!

لقد كان لمقاصد الشريعة وفقهها وفكرها حضور كبير وواسع وواضح في كل ما ارتاده الشيخ يوسف القرضاوي من مجالات كتب فيها، ومن محاور كتب تحتها، ومن علوم ألَّف عنها، ومن فنون صنَّف فيها، كانت المقاصد حاضرة، وكان فكرها متجلياً دون أن يتعمد هو هذا الإحضار ولا هذا الاستدعاء، وهو ما يشير إلى أن فطرته كانت مقاصدية، وتكوينه كان مقاصدياً، وانطلاقاته ونظراته ومعالجاته للقضايا والأفكار والرؤى كانت مقاصدية بامتياز.

التعليل عند القرضاوي:

والإمام القرضاوي مع جماهير العلماء قديماً وحديثاً ممن يؤمنون بتعليل الأحكام، وأن الأصل في الأحكام التعليل، والتعليل كما هو معلوم قاعدة التقصيد، فمن أثبت التعليل أثبت التقصيد، ومن نفاه نفاه.

قال: «ومن تأمل أحكام الشريعة، وتأمل ما عُللت به في القرآن والسُّنة تبين له أنها قصدت إلى إقامة مصلحة الخلق في كل ما شرعته، حتى العبادات نفسها روعيت فيها مصلحة المكلفين؛ إذ إن الله تعالى غني عن عبادة خلقه، فقد اقتضت حكمته أن يتعبد خلقه بما فيه صلاحهم وفلاحهم في العاجلة والآجلة؛ ولهذا نقرأ في القرآن تعليلات واضحة للشعائر التعبدية الكبرى، ففي ختام آية الوضوء يقول تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6).

وفي الصلاة نقرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: 45)، وفي الزكاة نقرأ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: 103)، وفي الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183)، وفي الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج: 28)، وفي هذا السياق يورد الشيخ دائماً كلمات الأئمة الغزالي، والشاطبي، وابن القيم، وغيرهم من أن الشريعة إنما وضعت لتحقيق مصالح الخلق ودفع المفاسد عنهم[1].

الحديث النظري والتأصيلي للمقاصد عند القرضاوي:

لم يسهم الإمام القرضاوي في نظرية المقاصد بسهم كبير؛ لأنه في الحقيقة لم يكن مشغولاً بالتأطير والتأصيل لتعميق نظرية المقاصد، وإنما كان عمله الأساس هو العمل الفقهي والإفتائي باستصحاب روح المقاصد والصدور عنها والاستنجاد بها، وهذا في نظري أهم وأعظم، وليس بالسهولة التي تُظنّ؛ بحسبان المقاصد قد استوفت إلى حد كبير الجوانبَ التأصيلية وأطرها النظرية، وإن كنا لم نعدم نظراتٍ عنده مهمةً في الجانب النظري والتأصيلي.

وقد تحدث في كتابه «دراسة في مقاصد الشريعة» عن اتجاهات ومدارس التعامل مع المقاصد؛ اتجاه «الظاهرية الجديد»، واتجاه «الباطنية الجدد»، واتجاه المدرسة الوسطية»، وبيَّن لكل اتجاه أو مدرسة خصائصها، ومرتكزاتها، ونتائجها التي أسفرت عنها هذه الخصائص والمرتكزات.

وله حديث متناثر وغير معمق في طرق الكشف عن المقاصد، وعدّ من ذلك تتبع

النصوص والاستقراء، كما تحدث عن ترتيب المقاصد الكلية وأولوياتها، وقال: «إنه لا يتصور أن يكون الشيء من «الضروريات» التي لا تقوم الحياة إلا بها، ثم يكون حكمه هو مجرد الاستحباب، ناهيك بالإباحة، ولا يتصور أن يكون الشيء مما يناقض هذه الضروريات، بل مما يأتي عليها بالنقض والبطلان، ثم يكون حكمه الكراهة، ناهيك بأن يكون مباحاً، ولا يتصور أن يكون الشيء من «التحسينيات» أو «الكماليات» -كما نقول في عصرنا- ثم يكون حكمه الإيجاب والفرضية الملزمة»[2].

وله حديث تجديدي عن الكليات الضرورية يأتي الحديث عنه بعد قليل، بما يطل على نظراته الثاقبة، وتعمقه في نظرية المقاصد، واعتباره لتطورات الواقع.

حديثه عن المقاصد العالية واعتبار المقاصد فقهاً حضارياً:

تسري المقاصد وفكرها بكتب الشيخ وخطبه كما الروح في البدن والدماء بالعروق

كان عمله الأساس الفقهي والإفتائي باستصحاب روح المقاصد والصدور عنها والاستنجاد بها

كما أنه تحدث عما أسماه المقاصديون المعاصرون «المقاصد العالية أو المفاهيم التأسيسية»، مثل: الحرية، والعدالة الاجتماعية، والأمن الاجتماعي، وهو حديث مهم يعتبر فيه امتداداً للعلامة الطاهر بن عاشور في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية» في القسم الثاني منه الذي جاء للحديث عن المقاصد العامة، وأضاف في حديثه هنا إضافات معتبرة، كما جاء في كتابه «مدخل لدراسة الشريعة».

وقد تعرض الشيخ لهذا الكلام في كتابه القيم «السُّنة مصدراً للمعرفة والحضارة»، يقول: «ومن ركائز الفقه الحضاري فقه مقاصد الشريعة، فإذا كان الفقه التقليدي يعنى بجزئيات الأحكام الفرعية وشكلياتها، فإن الفقه الحضاري يعنى بمقاصدها وكلياتها وأسرارها..».

ويقول الشيخ بعدما بيَّن مقصدية العبادات بنصوص من القرآن والسُّنة: وإذا ثبت أن للشعائر التعبدية مقاصد وأهدافاً أخلاقية واجتماعية، إلى جوار أهدافها الروحية: فمن باب أولى أن يثبت ذلك لسائر الأحكام،

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

وخصوصاً في شؤون الأسرة والمجتمع والدولة.

ومن هذه المقاصد ما نص عليه القرآن والسُّنة صراحة، بأدوات التعليل المعروفة، ومنها ما عرف باستقراء الأحكام الجزئية.

وتطويراً لما قاله علماء المقاصد، يقول الشيخ: «وهناك مقاصد جزئية لبعض الأحكام، ومقاصد كلية عامة؛ فالعدل مقصد عام، بل هو -كما نص القرآن- مقصد الرسالات السماوية جميعاً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: 25).

وتحقيق الكفاية والأمن مقصد عام، وهو ما امتن الله به على قريش، وأسس عليه أمْرهم بعبادته سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش).

وإشراك الناس فيما أفاء الله عليهم مقصد عام، ولذا علل القرآن توزيع الرسول للفيء على الفئات الضعيفة من اليتامى والمساكين وابن السبيل، قبل غيرهم، بقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: 7).

إن مقاصد الشريعة -كما أصَّلها الفقهاء- تتسم بالشمول والتنوع، وينبغي أن نعلم أنها مقاصد روحية أو دينية، فإن أول المقاصد أو المصالح التي تسعى إليها الشريعة هو: المحافظة على الدين، وهو ما يشمل العقائد والعبادات، والدين هو جوهر الوجود، وروح الحياة.

وهي مقاصد أخلاقية، كما رأينا في تعليل القرآن للأمر بالعبادات الكبرى، وفي الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3]، فالأخلاق إذن لا تنفصل عن الدين، وهي مقاصد إنسانية؛ لأنها تعمل على المحافظة على كل حرمات الإنسان؛ دمه وماله وعرضه وعقله، كما تحافظ على كرامته وحريته.

وهي مقاصد اقتصادية؛ لأنها جعلت المال من المصالح الضرورية التي تجب المحافظة عليها بكل الوسائل الممكنة.

وهي مقاصد مستقبلية؛ لأنها لم تكتف برعاية الإنسان الحاضر، بل وجهت اهتمامها أيضاً إلى إنسان المستقبل، حين جعلت من المصالح الضرورية التي ترعاه المحافظة على النسل[4].

ويجعل الشيخ الإمام فقه المقاصد أباً وأصلاً لكل الأنواع من الفقه التي ينادي بترسيخها والاهتمام بها، وهي من أنواع الفقه الحضاري أيضاً، وهي: فقه الواقع، وفقه السنن، وفقه المقاصد، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف، يقول: «وفي رأيي، أن فقه المقاصد أبو كلِّ هذه الألوان من الفقه؛ لأن المعنيَّ بفقه المقاصد هو الغوص على المعاني والأسرار والحِكم التي يتضمنها النص، وليس الجمود عند ظاهره ولفظه، وإغفال ما وراء ذلك»[5].

وهذا يؤكد عمق النظر المقاصدي وتنوعه وشموله وسعته عند الشيخ بما لم يوجد عند السابقين من علماء المقاصد الذين كان جل اهتمامهم على الفرد، كما سبقت الإشارة، في حين أن الشيخ هنا يعتبر الفردية والجماعية بعداً واحداً للحديث عن المقاصد فضلاً عن الأبعاد الأخرى الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية والمستقبلية وغيرها، بل جعل فقه المقاصد أباً لكل أنواع الفقه الأخرى.

مما يؤكد عمق النظر المقاصدي عنده أنه جعل فقه المقاصد أصلاً لكل أنواع الفقه

نظرات تجديدية في المقاصد الكلية الضرورية:

لم يقف الشيخ عند نقل ما قاله السابقون دون نظر فيه أو ملاحظة عليه، فقد اختار ترتيب الإمام الغزالي في الكليات الخمس، وهو: الدين ثم النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال[6]، وهو الترتيب الشهير عند القدماء والمحدثين، لكن له بعض النظرات والإضافات في هذه الكليات الخمس، خاصة مع حفظ العقل، وفي اعتباره لإضافة العرض كلية سادسة.

ففي حفظ العقل تتلخص ملاحظة الشيخ في وسائل حفظه التي ذكرها الأصوليون استدلالاً على ذلك، وهي تحريم الخمر وفرض العقوبة على شاربها، في أنه يضيف وسائل أخرى لحفظ العقل، فيقول: «وأرى أن حفظ العقل يتم في الإسلام بوسائل وأمور كثيرة، منها: فرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، والرحلة في طلب العلم، والاستمرار في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وفرض كل علم تحتاج إليه الأمة في دينها أو دنياها فرض كفاية،

وإنشاء العقلية العلمية التي تلتمس اليقين وترفض اتباع الظن أو اتباع الهوى، كما ترفض التقليد للآباء وللسادة الكبراء، أو لعوام الناس، شأن «الإمعة»، والدعوة إلى النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء.. وقد نجد في الكليات الأخرى متسعاً لمثل هذه الملاحظات، وباب العلم واسع، ولا يقف عند حد»[7].

والشيخ هنا في حفظ العقل ذكر الأمور التي تصون العقل وتُعَزّز من حُضوره، وتدعم قدراته الوجودية والتحصيلية، وفي مقام آخر وُجوه أُخرى جديدة، وفي مقام آخر يبين وجهاً آخر لحفظ العقل بقاءً واستمراراً غير تحريم الخمر والمخدرات، يقول: «وهناك مخدرات عقلية أخرى تُغيِّب وعْي الناس بحقيقة الكون والحياة والإنسان، يقوم بها أناس يروجون الباطل تحت عناوين مختلفة من الكهانة أو العرافة أو السحر أو تحضير الأرواح أو الاتصال بالجن أو نحوها، وكلها جنايات على العقل الإنساني يجب أن تحارب، وأن يزجر مقترفوها بالعقاب الرادع، وكل عمل يُغيب العقل بالثقافة المسمومة -باسم الدين أو الدنيا- يعد من كبائر الإثم وفواحش الجرائم»[8].

ونضيف إلى ما قاله الشيخ الدِّعايات الإعلامية المُضَلِّلة، والتقارير والتحليلات الصحفية الموجَّهة، التي تصرف العقل عن همومه الحقيقية وقضاياه الواقعية إلى توافه الأمور، وكل ما يمكن أن يُغَيِّب عقل الأمة عن قضاياها المصيرية ونكباتها.

وإذا نظرنا فيما نقلناه عن الشيخ قبل قليل، قوله: «وقد نجد في الكليات الأخرى متسعاً لمثل هذه الملاحظات»، وجدناه كلاماً جديراً بالتأمل والاعتبار، ففي وسائل حفظ المال مثلاً، ذكر الأصوليون: تحريم السرقة وإقامة الحد على سارق المال، في حين أن من يتأمل في هذه المسألة يجد الشريعة قد شرعت وسائل للحفاظ على المال إيجاداً

من نظراته التجديدية إضافته العرض كلية سادسة على الكليات الخمس التي ذكرها الأصوليون

وتحصيلاً، ووسائل أخرى لحفظه بقاءً واستمراراً.

وفي إضافة العرض كليةً سادسةً للكليات الخمس الضرورية يرى الشيخ اعتبار هذه، يقول: «وقد أضاف القرافي وغيره إلى هذه الخمسة عنصراً سادساً، وهو «حفظ العرض»، والعرض بتعبيرنا هو الكرامة والسمعة؛ ولهذا حرمت الشريعة القذف والغيبة ونحوها، وشرعت الحد في القذف بالزنى خاصة، كما شرعت التعزير فيما عدا القذف»، يعلق الشيخ قائلاً: «وهي إضافة صحيحة يجب اعتبارها».

ويستدل الشيخ لوجوب هذه الإضافة بحديث: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله»، ثم قال: «فقرن العرض بالدم وقدمه على المال»[9].

ويربط الشيخ هنا بين ورود حد القذف وعدِّ العرض من الضروريات باعتبار أن ورود الحدود مع إهدار الكليات الأخرى كان لها دور في عدها من الضروريات، بالإضافة إلى أن العرض يعني: سمعة الإنسان وكرامته، وهذا جانب مهم من جوانب حقوق الإنسان، وهو جانب له أهمية كبيرة في عصرنا[10].

وبهذا يكون الشيخ اتسق مع معيار أو مفهوم الضروري شرعاً، وارتقى بالعرض إلى الضروريات متفقاً في ذلك مع أصوليين سابقين، وعزز ذلك برعاية لتطورات الواقع، وهذا هو عمل الفقيه المدرك للشرع والواعي بالواقع.

هذا ما سمح به المقام والمقال، وفي حلقة قادمة، إن شاء الله تعالى، سنلقي الضوء على بعض تجليات المقاصد في المجالات المختلفة عند الشيخ الإمام، رحمه الله تعالى، مثل: القرآن الكريم وعلومه، والسُّنة النبوية، والاجتهاد، والفقه، والفتوى والعقيدة الإسلامية.■

الهوامش

(1) راجع مثلاً: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: 57، وما بعدها، مكتبة وهبة. القاهرة. بدون تاريخ، وتيسير الفقه للمسلم المعاصر: 102، وما بعدها، مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1. 2000م، ودراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية: 11. دار الشروق. القاهرة. ط 1. 2006م، والسنة مصدرا للمعرفة والحضارة: 230-231. دار الشروق. ط 4. 2005م.

(2) دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 155.

(3) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، والبخاري في الأدب المفرد.

(4) انظر: السُّنة مصدراً للمعرفة والحضارة: 230-232. دار الشروق. ط 4. 2005م.

(5) دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 15.

(6) انظر المستصفى من علم الأصول: 482/2. تحقيق حمزة بن زهير حافظ. وانظر السياسة الشرعية للقرضاوي: 311-313. مكتبة وهبة. القاهرة. ط 2. 2005م.

(7) دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية: 29-30. دار الشروق. القاهرة. ط 1. 1427هـ/ 2006م.

(8) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها: 312. مكتبة وهبة. القاهرة. ط 2. 1426هـ/ 2005م.

(9) انظر مدخل لدراسة الشريعة: 60.

(10) انظر دراسة في فقه مقاصد الشريعة: 27-28. مكتبة وهبة. القاهرة. بدون تاريخ.

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

المَلَكة الحديثية عند د. يوسف القرضاوي

د. أحمد طه عبدالقادر

لقد تناول كثير من العلماء دور الإمام القرضاوي وجهوده المتنوعة في جميع الميادين، وخرجت رسائل علمية في هذا الشأن تحمل هذا الجهد في دائرة العرض والنقد، وكان من أواخر الكاتبين عنه في هذا المجال د. محمد سليم العوا في بحثه الموسوم «جهود الدكتور يوسف القرضاوي في خدمة السُنة النبوية».

لكني أردت بهذا المقال أن أعمق فكر القارئ الشغوف بمعرفة كنوز الشيخ الإمام، وأفتح للباحثين المتخصصين نوافذ النور في شخصية العلامة المحدث، نعم المحدث؛ فالشيخ وإن عرف بنبوغه وعبقريته العلمية في كثير من الميادين والفنون وعلى رأسها الفقه والأصول والدعوة والتربية والحركة والعمل الإسلامي؛ فإنه لا بد أن يعرف كذلك بنبوغه في الحديث ومعرفته العميقة به وبقواعده، وليس هذا ادعاء أو تقولاً؛ فمن قرأ له بإنصاف علم ذلك وفطن له، وأبرز ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: نظرته للسُنة النبوية: فهي نظرة شاملة متكاملة يرى فيها السُّنة نور الوحي الهادي من الظلمة، وأجوبة المسلم الباحث عن الحل في معضلات الأمور، وعالمية التبليغ والصلاحية لجميل ما تحمل من موضوعات وتوجيهات وأساليب.

وهذه النظرة تعكس قضيتين مهمتين تتعلقان بالإمام المحدث؛ أولاهما: إيمانه العميق بالسُّنة النبوية كمصدر أصلي من مصادر الوحي لا يعرف الإنسان دينه ولا يكتسب علمه الشرعي ولا يسير في حياته بصلاح ونور إلا من خلالها جنباً مع القرآن الكريم.

وثانيتهما: تعكس اهتمامه وانشغاله الكبير بالعمل بها ونشرها والذب عنها، وهذا يظهر بجلاء ووضوح في كتاباته وحواراته العلمية والدعوية، ولا أقصد هنا الحوار والكتابة السردية المجردة من مشاعر صاحبها كما نراها عند البعض، ولا المتشدقة الفخورة بميدان إظهار السبق، وإنما كتابة المحب المتعلق بدينه المتلمس لنَفَس نبيه وفهمه المؤمن بحلولها، ولذا تستشعر حرارة قلبه قبل قلمه وهو يكتب عنها أو يستشهد بها، وانظر إلى كلامه عن منزلة السُّنة في الإسلام في كتابه «كيف نتعامل مع السُّنة النبوية» تدرك بوضوح هذا الأمر.

ثانياً: خدمته للسُنة والحديث النبوي: فالإمام، رحمه الله تعالى، في هذا الجانب له سمت خاص وتفرد ملحوظ، فإن عادته التي ألفناها في كتابته ومؤلفاته ألا يثقل كاهل المكتبة الإسلامية بما كتب وسبق فيه التأليف، وإنما يكتب الجديد النافع الذي يضاف إلى المكتبة الإسلامية فيثريها ويكمل سلسلة المؤلفات فيها، والعبرة دائماً في منهجه بالكيف لا بالكم، والطرح الجديد لا بتكرار القديم، وما مشاريعه في هذا الصدد -ومنها: كتابه «نحو موسوعة للحديث الصحيح مشروع منهج مقترح» الذي كان في بدايات ثمانينيات القرن الماضي- إلا إلهام لكثير من المؤسسات العلمية والنشرية لإنتاج باكورة هذا الأمر بصورة عمل حاسوبي أو كتب مؤلفة.

وكذا كتاباته الأخرى في السُّنة النبوية؛ منها: «المدخل لدراسة السُّنة النبوية»، «كيف نتعامل مع السُّنة النبوية؟ معالم وضوابط»، «السُّنة مصدراً للمعرفة والحضارة»، «الجانب التشريعي في السُّنة النبوية»، «المنتقى من الترغيب والترهيب»، «الرسول والعلم».. وغيرها، وكل كتاب يبرز بإبداع لا نظير له، وإضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية فيما يخدم السُّنة النبوية، ثم النزول بعد ذلك إلى أرض التطبيق العملي الذي عرف به واشتهرت به حياته، فأسهم في إنشاء مركز بحوث السيرة والسُّنة النبوية في قطر الذي اهتم بنوعية ما يخرجه عمقاً

نظرته للسُّنة تعكس إيمانه العميق بها كمصدر أصلي من مصادر الوحي والذبّ عنها

جمع بين قراءة الحديث من منظور المحدّث والفقيه والأصولي

وكيفاً لا سطحياً وكثرة، فقدم بهذا خدمة متميزة لسُنة النبي صلى الله عليه وسلم تليق بها وتبرز جمالها في أبحاث نافعة يافعة مثمرة.

ثالثاً: معالم شخصيته وملكته الحديثية: تبرز ملكة د. القرضاوي الحديثية في مؤلفاته الكثيرة التي قاربت المائتين؛ فما من كتاب له إلا ونصيب السُّنة منه دراية ورواية كبير وعظيم ودورها في طرحه أصيل، ما يظهر من خلال ذلك ملكة علمية حديثية دراية ورواية، أسطرها في النقاط التالية:

1 – ما يتعلق بملكته الحديثية دراية:

– استشهاده الرائع العميق بالسُّنة النبوية في جميع ميادين علمه وعطائه الكتابي والبثّي.

– الجمع بين الفكرة المطروحة والتأصيل المؤيد، فما من فكرة يقدمها إلا مؤصلة من كتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

– استيعابه الملحوظ لغالب السُّنة المدونة مطبوعة أو مخطوطة؛ فهو يطوف بك بين المرفوع والموقوف والمقطوع بين الحديث والأثر ما كان مطبوعاً وما كان في دائرة المخطوط، والذي يطالع موارد كتابه ورسالته «فقه الزكاة» وغيره سيقف على روايات كثيرة اعتمدها وأخرجها من بطون مخطوطات لم تكن خرجت لدائرة الطبع، وكحّل العلماء بها أعينهم خاصة كتب الخراج والأموال.

انبثقت درايته بالحديث من القواعد التي تدل على منهجه المؤمن به اعتدالاً وتوجيهاً

أضاف شرطين إلى ما سطره العلماء حول جواز العمل بالحديث الضعيف

– إلمامه بالطرق والروايات للحديث الواحد الذي يؤكد عدم المرور السريع أو الناقص للحديث دون جمع طرقه وروية النظر فيه.

– إلمامه الكامل بقواعد علوم الحديث الشريف من مصطلح الحديث والجرح والتعديل ومناهج المحدثين، وغيرها ما يرسخ قدمه في العرض الحديثي ويدعم رأيه من خلال هذا الإلمام والإدراك.

– اختياره للرواية التي تدعم موطن كلامه واستشهاده ما يؤكد ملكة الانتخاب والترجيح والتحقيق عنده، رحمه الله تعالى.

– انتقائية الشرح للحديث المتكلم عنه بين الشراح ما يجعل إلمامه بما كتب حوله وما سطر عنه حاضراً بقوة بين يدي الشيخ؛ فتراه ينقل مرة كلام الحافظ ابن حجر، وأخرى يستشهد بالبدر العيني، وثالثة بالنووي، ورابعة بالقرطبي، وخامسة بابن بطال.. وغيرهم؛ ما يجعله قد وصل لمرحلة كبيرة من الاستيعاب الذي سطره العلماء حول الحديث الواحد.

– نقاشه أحياناً لبعض هؤلاء الشراح في فكرتهم وانتقاده لطرحهم، بل وأحياناً يرد عنهم ما ليس من كلامهم لدربته وخبرته بتوجهاتهم ومعرفة مناهجهم؛ ما يجعل القارئ في دهشة من عرضه ونفاذ بصيرته في هذا الصدد.

– الجمع بين قراءة الحديث من منظور المحدث ومنظور الفقيه والأصولي وبطبيعة الحال؛ فالإمام يستحضر ما قعّده العلماء جميعاً بين يديه فتخرج قراءته للحديث لوجود هذه العلوم مجتمعة بين يديه مختلفة عن غيره، وعميقة في الفهم ممن لا يحسن غير فن أو تغيب بين يديه قواعد الفنون الأخرى.

– فهمه وهضمه لقواعد فهم السُّنة وكيفية التعامل معها، وقد سطر مؤلفاً في ذلك ما يجعل درايته بالحديث منبثقة من هذه القواعد والضوابط التي تدل على منهجه المؤمن به اعتدالاً ووسطية وتوجيهاً.

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

– إبصار الوحدة الموضوعية للحديث التي تؤكد أصول الإسلام ولا تتعارض بين توجيهاته ما يدفع بالشواهد والمتابعات الحديثية حول فكرة الحديث والموضوع المنبثق منها في كتابته.

– إدراكه الكامل لمقاصد السُّنة النبوية، من ذلك ما سطره في كتابه «مدخل لدراسة السُّنة النبوية» باعتبار السُّنة مصدراً للاحتكام والفتوى، ومصدراً لتوجيه السلوك الإنساني، ورسماً لمنهج تفصيلي للحياة الإسلامية، وغير ذلك مما يبرز في كتابته الحديثية ويؤكد سلامة المنطلق والختام.

– نبوغه في الأحاديث المشكلة والمختلفة التي ظاهرها التعارض وكيفية الجمع والترجيح فيها، وهو باب عظيم قلَّ من تحدث فيه لفقدانه الجمع بين الحديث والفقه والأصول.

– طرحه لرأيه وفهمه في الحديث الذي ربما لم يسبق إليه، والذي يكون عنده من مجموع ما سبق من أمور تتعلق بنظرته العميقة في متون الأحاديث بعد جمعها والنظر في رسمها وتوجيه قائلها صلى الله عليه وسلم، مع مقاصد الشرع الحنيف وكليته، ما جعل طرحه إضافة لفهم من سبق حول الحديث، ومؤكداً أهمية التدبر والنظرة الشاملة لكل متن على حدة، وكلامه حول فهمه في أحاديث فقه الجهاد عند عرضه لأدلة القائلين بجهاد الطلب ونقاشهم دليل ذلك.

– إضافاته في بعض جزئيات علم الحديث، وانظر إلى كلامه حول الحديث الضعيف في الترغيب والترهيب، وقد أضاف شرطين لما سطره العلماء في جواز ذلك كما في كتابه «كيف نتعامل مع السُّنة النبوية» عند حديثه عن رواية الحديث الضعيف في فضائل الأعمال.

2 – ما يتعلق بملكته الحديثية رواية:

– معرفة المتون وحفظها حفظاً تاماً.

– التمييز بين ما كان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما كان موقوفاً على غيره، ومن طالع الفتاوى المعاصرة وأحاديث كتبه لوجد عجباً من إدراكه لهذا التمييز!

– كثرة حضور الشواهد والمتابعات بين يديه للحديث الواحد التي تعضد الفكرة وتعمق المضمون.

– سبر المرويات في الموضوع الواحد الذي لا يقف فقط عند حدود المرفوع، بل يدعمه بآثار الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

مما يدل على ملكته الحديثية روايةً معرفة المتون وحفظها وسبر المرويات بالموضوع الواحد

– معرفة المختصر من الأحاديث والمطولات التي يستشهد بها أحياناً في دائرة أبحاثه وكتاباته، مبيناً أهمية رواية الحديث كاملاً في موطن لأهميته في الفهم ودرء التعارض، وأحياناً أخرى مختصراً لاقتصاره على مناط الشاهد، وهذا من صنيع الكبار وفي الصدارة منهم الإمام البخاري، رحمه الله تعالى.

– حصره لدواوين السُّنة النبوية وما تحمله من منهج وعرض ودرجة للحديث النبوي.

وحقيقة الأمر أن الموضوع المطروح لا يصلح مقالاً، بل أرى أن كل نقطة من النقاط السابقة جديرة ببحث مستقل يرسم أبعاده ويخرج الباحثون كنوزه من مؤلفات الإمام المحدّث في رسائل علمية وبحثية جديرة بالطرح، جديدة بالعرض والمضمون، رحم الله الشيخ المحدث، وجعل ما قدَّم في ميزان حسناته سلماً ومعراجاً لصحبة سيد السنن صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى من الجنة، ونحن معهم، اللهم آمين.■

القرضاوي.. أديباً

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

يظل الأزهر منبع العلم والأدب والفن؛ فعلى مدى ألف عام أو يزيد تخرج فيه العلماء والأدباء والشعراء والروائيون والفنانون في مجال الكلمة والصورة والأداء، تاريخه أو عطاؤه يدحض مقولات الناشزين عن طاعة الله تعالى، الموالين للغرب وجنوده، كان أبناؤه وقود ثورة عام 1919م، وشعراؤه طليعة الأمة في مواقف الجهاد والكفاح، وأدباؤه معبرين عن هموم الشعوب وتطلعاتها؛ تجد فيهم العالم القدوة، والأديب النحرير، والروائي الفائق، والمسرحي الموهوب، والصحفي الذي لا يشق له غبار، والخطاط المتميز، والرسام المتأنق، وغير هؤلاء ممن شاركوا في صنع الحياة والمجتمع.

أذكر في مطلع العمر أن بعض زملائنا الأزهريين الموهوبين في الشعر والرواية، ومعهم بعض الأساتذة، كانوا يقومون بنشر دواوينهم ورواياتهم على حسابهم الخاص، قبل أن تكون هناك مؤسسات رسمية (تكايا) تفتح على مصاريعها للشيوعيين وخصوم الإسلام وحدهم، وكان الطلاب والأساتذة يرسلون مندوبيهم ليمروا على الفصول، وفي أيديهم دفاتر إيصالات، مدوّن فيها اسم الكتاب ومؤلفه وثمنه، وهناك مكان خال يسجل فيه اسم راغب اقتناء الكتاب وفصله وسنته الدراسية، وعادة كان يتم توزيع كل إيصالات الدفاتر أو معظمها، وحصيلة الدفاتر توفر قيمة الطباعة والتجليد، وما يتبقى يذهب للمؤلف، ويصدر الكتاب الذي يوزع على من دفعوا أولاً، وفيه تقريظ وتقديم من أستاذ كبير قد يكون شيخ المعهد أو وكيله أو مراقبه، أو أستاذاً مشهوداً له بالموهبة الأدبية.

وهكذا يبدو الإنتاج الأدبي مواكباً للتحصيل العلمي الحقيقي الذي يبقى على مر السنين، ومن خلال هذا النشر يستمر عادة الأديب الأزهري في نموه الأدبي، فيكون شاعراً كبيراً، أو روائياً ناضجاً، أو كاتباً لامعاً، أو داعية عظيماً.

وأظن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي (1926 – 2022م)، رحمه الله تعالى، كان من أبناء هذه المرحلة الذهبية في تاريخ الأزهر التي حفظت الفنون الأدبية واللغة العربية، فضلاً عن القيم الإسلامية.

وفي وقت مبكر من حياته الفكرية والأدبية، أصدر كتاباً صغيراً نسبياً بعنوان «الإسلام والفن»، طبع أكثر من مرة، وفيه عرض للفنون بأنواعها المختلفة المسموع منها والمشاهد والمقروء بوصف ذلك من ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، وأبرز حكم الإسلام في هذه الفنون، وكثير منها أحياه الإسلام، وميّز حضارته عن الحضارات الأخرى، مثل فنون الخط والزخرفة والنقوش في المساجد والمنازل والقصور والسيوف والأدوات الاستعمالية وغيرها، فضلاً عن الفنون الأدبية التي نبغ فيها العرب من قديم وأضافوا إليها ما تعلموه من الأمم الأخرى، وجاء القرآن الكريم ليمثل قمة الفن الأدبي المعجز.

«الإسلام والفن» يؤكد وعيه بأهمية الكلمة ودورها في بناء المجتمع أو هدمه

من الفنون التي ارتادها الكتابة المسرحية في «يوسف الصديق» «وعالم وطاغية»

ولا ريب أن الفن كالعلم يمكن أن يستخدم في الخير والبناء، أو في الشر والهدم، وهنا خطورة تأثيره، ولأنه وسيلة إلى مقصد فحكمه حكم مقصده، فإن استخدم في الحلال فهو حلال، وإن استخدم في الحرام فهو حرام.

يؤكد كتاب «الإسلام والفن» وعي القرضاوي بأهمية الكلمة ودورها في بناء المجتمع أو هدمه؛ ولذا ارتبطت حياته الأدبية بالكلمة الطيبة التي تبني ولا تهدم، وتضيف الجمال، ولا تنشر القبح؛ فكان منذ مطلع حياته وهو طالب يتعامل مع الكلمة الطيبة وهو يخطب وهو يؤلف وهو يسرد وهو ينظم، ووظّفها في الأحداث التي عاشها، والأفكار التي آمن بها، وساعده على ذلك امتلاك أدوات التعبير التي هيأها له الأزهر منذ بداية نشأته؛ اللغة نحواً وصرفاً، والبلاغة تركيباً وتصويراً، والثقافة استيعاباً واهتماماً.

وقد امتلك القرضاوي أسلوباً بسيطاً سهلاً متدفقاً، يفهمه من يتابعونه على المستويات الثقافية كافة، ولعل ذلك يرجع إلى انغماسه في الحياة العامة للناس، وقربه من واقعهم ومشكلاتهم، ومخاطبته في معظم الحالات للعامة من

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

عمال وفلاحين وحرفيين وبسطاء، فقد كان يصعد المنبر، ويخاطب العمال الذين يصلون وراءه الجمعة في مسجد آل طه بالقرب من شركة المحلة للغزل والنسيج، وكانت تضم يومئذ قرابة مائتي ألف عامل في ورديتها الثلاث، انخفضت في أيامنا إلى اثني عشر ألفاً.

السيرة الذاتية

ولعل أبرز أدبيات القرضاوي ما يتعلق بالسرد، أو القص أو الحكي، فقد كتب ما يسمى في التصنيف الأدبي «السيرة الذاتية»، وأظنها أضخم سيرة لواحد من الإسلاميين سجلها فيما يزيد على خمسمائة وألفي صفحة، تحت عنوان «ابن القرية والكتّاب.. ملامح سيرة ومسيرة»، وصدرت عن دار الشروق بالقاهرة، عقب نشرها صحفياً في جريدة «آفاق عربية» المحتجبة.

وفي السيرة رصد تفصيلي لحياة كاتبها منذ خروجه إلى الدنيا حتى لحظة كتابتها قبل نحو خمس وثلاثين سنة، وتميز هذا الرصد بالسعة والشمول لدقائق الحياة والأحداث، وصدق في التناول بذكر الإيجابيات والسلبيات، ويمكن للقارئ أن يجد في السيرة تفسيراً لكثير من الواقعات التي تعلقت بالأمة أو الحركة الإسلامية أو المؤسسات المختلفة، وأحوال الصحافة والثقافة والفكر والأدب في العصرين الملكي والجمهوري، وطبيعة الحياة في الريف والمدن في تلك المرحلة، فضلاً عن التعرف على شخصيات ورواد وقادة ومسؤولين من خلال سلوكهم وأفكارهم ومواقفهم، وتثبت السيرة أن كاتبها يتمتع بذاكرة قوية، حين يتذكر التفاصيل الدقيقة أو بعض الأقوال أو أبيات الشعر التي نظمها وضاعت أصولها في تراكم الأحداث والانشغالات الكثيرة.

ولعل القراء يشعرون بشيء من المفاجأة حين يعلمون أن الشيخ القرضاوي كان كاتباً مسرحياً، ففي شبابه كتب مسرحية بعنوان «يوسف الصديق»، لم أعثر عليها، وإن صدّرها بأبيات من شعره تعبر عن مضمونها، ولكن المسرحية التي كتبها في المعتقل عام 1949م كانت مسرحية «عالِم وطاغية» مثّلها المعتقلون بعد الإفراج عنه، وضاع أصلها الذي كتبه في كراسة، فأعاد كتابتها مرة أخرى، وصدرت مطبوعة، والمسرحية تتناول موقف التابعي الجليل سعيد بن جبير رضي الله عنه واستشهاده على يد الحجاج الثقفي الذي اشتهر بالطغيان والظلم واستحلال دماء الأبرياء، ويشير القرضاوي إلى أنه في سنة 1949م، كان واحداً من الطلاب الذين اختطفتهم «كلاب الصيد» وألقت بهم في بطون المعتقلات ما بين «هايكستب» و«جبل الطور» من أراضي مصر، «وما نقموا منا إلا أننا ندعو إلى الإسلام الصحيح؛ ديناً ودولةً، عبادةً وقيادةً، صلاةً وجهاداً، مصحفاً وسيفاً».

لأنه أديب من الدرجة الأولى جعل من خطبه درساً تربوياً ينهض على مفاهيم صحيحة

ويقول: «وفي معتقل «هايكستب» في الصحراء كنت أقرأ في كتب الأدب والتاريخ، فكان مما راقني وأثر في نفسي موقف سعيد بن جبير العالم الفقيه الشجاع، من الطاغية المتجبر الحجاج بن يوسف، وكان لي شغف بالأدب المسرحي حينذاك، حتى إنني ألّفت -وأنا طالب بالصف الأول الثانوي- مسرحية شعرية، عنوانها «يوسف الصديق»، ولهذا رأيت قصة سعيد مع الحجاج صالحة لأن تكون مسرحية ذات هدف ورسالة، وخاصة أننا كنا نصارع طغياناً كطغيان الحجاج، فما أحوجنا إلى مواقف كموقف سعيد! وكتبت المسرحية، ومثّلت في معتقل الطور.. وضاعت أخيراً.

واليوم يعيد التاريخ نفسه، وتتكرر المأساة، ويتجدد الطغيان والاضطهاد لحملة الدعوة الإسلامية، ولكن بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية، وتبرز مواقف كمواقف سعيد في مواجهة طغيان أخبث وأعتى

وأشد كفراً من طغيان الحجاج.

ومن هنا -يقول القرضاوي- وجدت الدافع الذي دفعني إلى كتابتها بالأمس لا يزال قائماً اليوم، بل هو أقوى، وبدأت أكتبها من جديد، مُستلهماً تاريخ تلك الحقبة الغنية بالبطولات والمواقف الرائعة إلى جوار ما حفلتْ به من مظالم، وما طفحت به من تجبر وطغيان، ومُستهدياً بشخصية سعيد بن جبير، وما عُرف به من علم وإيمان وشجاعة وثبات، سجَّلتْها لنا كتب الأدب والتاريخ والرجال، ومضى سعيد بن جبير مثلاً في تاريخ الإسلام للعلماء المجاهدين، والدعاة الصادقين: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ (الأحزاب: 39).

الخطيب المفوّه

ولعل الخطبة هي الفن الأقوى في أدبيات القرضاوي بحكم إمامته للناس في الصلاة، وخطبة الجمعة أسبوعياً، فضلاً عن خطابته في مسجد المتولي بقريته صفط تراب وهو ابن السابعة عشرة، فوجد فيها الناس شيئاً متفرداً مختلفاً عن غيره، فأعجبوا به وتتبعوه وأثنوا عليه، كما كان وهو طالب -فيما يشبه اتحاد الطلاب في أيامنا- خطيباً مفوهاً، حيث اختاره الطلاب زعيماً لهم يتحدث باسمهم في المناسبات المختلفة، ثم قيامه بالخطابة في معترك الدعوة والحركة، ولأنه أديب بالدرجة الأولى فقد جعل من خطبه، خاصة في يوم الجمعة، درساً تربوياً متماسكاً ينهض على مفاهيم صحيحة من القرآن الكريم والسُّنة، ويغذيها بمحفوظاته الشعرية والنثرية والسرديات التي تقرب الناس من الفكرة، ويستميل القلوب إليها، ويبعد عنها الخرافات والإسرائيليات والأحاديث المنكرة، وكان حريصاً أن يركز الخطبة على ميدان واحد ممتد في خطب متعددة حتى يفهمه المصلون فهماً جيداً، سواء في الفقه أو العبادات أو المعاملات.

وكانت خطبته تمتد لوقت غير قصير،

كان الشعر أغنيته المفضلة بالمواقف الصعبة ولحظات البهجة والسرور

ويربط الخطبة الثانية في خطبة الجمعة بالخطبة الأولى، فلا يتشتت المتلقي بين موضوعات متعددة لا يفيد منها كثيراً، بيد أن جمهوره كان يذهب إليه عقب الصلاة بدافع الرغبة في سماعه والتعلم منه والبقاء حتى يغادر المسجد، وكنت أود أن أقدم بعض النماذج هنا لولا ضيق المساحة، ولكن القارئ يستطيع أن يعود إلى سبعة مجلدات تضم خطب الشيخ القرضاوي جمعها الأستاذ خالد خليفة السعد (من البحرين) ونشرها بعد أن خرّج معظم أحاديثها، وراجعها الشيخ مستكملاً فجوات التسجيل، ونواقص التخريج.

تضم خطب هذه المجلدات معظم ما ألقاه الشيخ القرضاوي في مساجد الدوحة، وأماكن أخرى، وبرامج «التلفزيون القطري»، و«الجزيرة»، وغيرها.

إنها تراث مهمّ للدعاة والخطباء الذين يعنيهم نقل الناس من حال إلى حال.

الأغنية المفضلة

أما الشعر فقد كان أغنيته المفضلة في المناسبات المختلفة والمواقف الصعبة ولحظات البهجة والسرور، وتأمل عنوان ديوانه الذي جمعه حسني أدهم جرار «نفحات ولفحات»، ويقوم على التضاد أو المفارقة، فالحياة ليست سارة دائماً، ولا مؤلمة دائماً، فيها هذا وذاك، وهو ما جعل شعره صدى حقيقياً لهذا العنوان اللافت، وضرورة تغلبه في كل الأحوال، حيث قال عنه:

أريد له هجراً فيغلبني حبي
وأنوي ولكن لا يطاوعني قلبي
وكيف أطيق الصبر عنه وإنما
أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب
فكم شدّ من عزم وبصّر من عمى
وأيقظ من نوم، وذلل من صعب

وفي شعره يحرص القرضاوي على الصياغة الموروثة وزناً وقافية وعموداً إلى حد كبير، مع لغة بسيطة وسهلة، قليلة الصور بسبب المباشرة التي تعبر عن الأحاسيس والمشاعر في لحظة فيضانها، ولعل المقطوعة التالية تمثل حالة من الفيض ضد الطغيان وجرائمه:

قل للطغاة الحاكمين بأمرهم
إمهال ربي ليس بالإهمال
إن كان يومكمُ صحت أجواؤه
فمآلكم والله شر مآل
سترون من غضب السنوات العلا
حتماً، ويؤذن ظلمكم بزوال
وتزلزل الأرض التي دانت لكم
يوماً، وما أعتاه من زلزال!
البغي في الدنيا قصير عمره
وإن احتمى بالجند والأموال
يا جند فرعون الذين تميزوا
ببذيء أقوال، وسوء فعال
لا تحسبوا التعذيب يخمد جذوتي
ما ازددت غير تمسك بحبالي

لقد كان القرضاوي أديباً بحق، وأعطاه الأدب دفعة قوية إلى الأمام في التعبير باللسان والقلم جميعاً عن أفكاره وقيم الإسلام، وأظن أن الأدب ضرورة لكل عامل في مجال الدعوة والحركة، ومعظم الناجحين في هذا المجال كان الأدب زادهم ووسيلتهم في الوصول إلى الناس، ولعل سرّ الشكوى المتجددة من بعض الخطباء والوعاظ والمتحدثين في قضايا الإسلام وحركته أنهم يفتقرون إلى الجانب الأدبي، حيث يمثل وقوداً ضرورياً لدفع حركة الدعوة والتعبير عنها.

ولعل لبعض الباحثين في الدراسات العليا يتخذ من هذه الكلمة وسيلة لدراسة القرضاوي أديباً، أو يتناول جزئيات هذه الأدبية باستفاضة، ليفيد منها الدعاة الجدد والوعاظ المنتظرون.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

الشيخ القرضاوي..
العقل الموسوعي والنموذج التاريخي

يُعد فضيلة الشيخ العلَّامة د. يوسف القرضاوي (1926 - 2022م) نموذجاً للعالم الواعي بالدور التاريخي للعلماء، ومثالاً للفقيه الذي يجمع بين العلم والعمل وبين الفكر والفعل؛ إذْ لم يغِبْ وعيُه الحضاري عن الفاعلية في الحياة العامَّة وتأثيره فيها، ولم يغادر حضورُه ثغورَ المرابَطة على القضايا الكبرى للأمة، ولم يغُضَّ الطرف عنها، ومنها: قضايا الحكم والسِّياسة والثورة والجهاد والدولة والأمَّة والنهضة والحضارة؛ فكان حضورُه قوياً في التحوُّلات التي يعيشها العالم عموماً وتعيشها الأمَّة خصوصاً، حتى وُصِف بأنه الضَّمير الحي والناطق الأمين باسم الأمة في العصر الحديث، بحيث تمثِّل كتُبُه وخياراته الفكرية والفقهية والسِّياسية مشروعاً إصلاحياً متكاملاً، صاغ به ثقافة أجيال من أبناء الأمة ضمن تيار الوسطية والاعتدال، وكان مرجعاً علمياً موثوقاً، ومصدراً عملياً ثرياً في التأصيل والتأسيس للعديد من المشاريع الخادمة للإسلام.

> **لو أراد المنصفون تقديم نموذج بهذا القرن لعلَّامة مجتهد ومجدِّدٍ فلن يجدوا أولى منه**
>
> **الأجيال القادمة ستكتشف من خلال مسيرته الثرية الرِّواية الأصح لحقيقة الإسلام وعظمته**

فهو من أبرز الأعلام المعاصرين الذين أثْرَوا مسيرة الأمة وتكوين أجيالها نحو الاستئناف الحضاري من جديد، وإنْ أراد المنصفون أنْ يقدِّموا نموذجاً في هذا القرن لعلَّامة مجتهد ومجدِّد فلن يجدوا مثالاً حياً أوضح من د. القرضاوي، وهو الذي قال عنه الشيخ محمد الحسن ولد الددو: «يكفي أنْ توفَّاه الله حتى انفرد بالإمامة، فلم يكن في عصره أكبر منه حظاً من ميراث النبوَّة، فكان الوارث الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الزَّمان..».

إنَّ استقراء الخارطة الفكرية والإبداع المعرفي للعلَّامة القرضاوي يدلُّك على ذلك الإنتاج العلمي والمعرفي الغزير في مختلف الفنون والاختصاصات، فقد صنَّف كتباً مهمَّة في مجالات مختلفة، فألَّف في العقائد وعلوم القرآن والسُّنة، وفي الفقه وأصوله، وفي السِّياسة الشرعية والاقتصاد الإسلامي، وفي الدعوة والتربية والسُّلوك، وفي ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية والحل الإسلامي، وفي الوحدة الفكرية للعاملين للإسلام، وفي الكتب الإسلامية العامة والترجمة للأعلام، وفي الأدب والشعر والفن، وستصدر موسوعةُ أعماله كاملة قريباً في أكثر من 100 مجلد، وهو الذي ألَّف أكثر من 170 كتاباً، كما شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات والبرامج التلفزيونية خلال مسيرته الحافلة والمثيرة للجدل؛ فهو من أكثر الدعاة المعاصرين قرباً من الجماهير وتأثيراً في الشُّعوب وإحراجاً للأنظمة الاستبدادية، وقد دفع أثماناً باهظة في سبيل ذلك، وهو الذي حلَّ عام 2008م في المرتبة الثالثة من بين 20 من المفكرين الأكثر تأثيراً في العالم.

ناصر حمدادوش

برلماني جزائري سابق

إنه عالِمٌ من زمن آخر، وسيقرأ المؤرِّخون وستكتشف الأجيال القادمة من خلال سيرته ومسيرته الثرية الرِّواية الأصح لحقيقة الإسلام وعظمته، وستعترف الإنسانية بحجم الخسارة الإستراتيجية في إقصاء هذا الدِّين من الحياة.

جوانب مضيئة

ويمكننا أن نقف على جوانب مضيئة في مسيرته الحافلة، تاركين الحديث عن

مجالات أخرى لفرص قادمة:

ففي مجال الإنتاج العلمي والاجتهاد الفقهي، نجده متفرِّداً في التأليف والتأصيل، فهو يجمع -كما وُصِف بحقٍّ- بين دقَّة الفقيه، وحرارة الداعية، ونظرة المجدِّد، وأصالة العالِم، وإشراقة الأديب، وتتميَّز مؤلَّفاته بالاستناد إلى أصول الاستدلال العلمي المعتمد على الكتاب والسُّنة ومنهج السَّلف الصالح وما توصَّل إليه العلم الحديث، فهو يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين التدقيق العلمي والبعد الفكري والتوجُّه الإصلاحي، كما أنه متحرِّر من التقليد الأعمى والعصبية المذهبية والتبعية الفكرية.

وقد أصبح مرجعاً فقهياً عالمياً معتمداً لدى الكثيرين من المسلمين، وقد بيَّن منهجه في الفتوى في مقدمة كتابه «فتاوى معاصرة»، وفصَّل ذلك في رسالته «الفتوى بين الانضباط والتسيُّب»، ويقوم هذا المنهج على التيسير لا التعسير،

ظل مرجعاً علمياً للعاملين للإسلام جميعاً ونظَّر للحركة الإسلامية وأصَّل في ترشيد الصحوة

وعلى الحجَّة والدليل، وعلى التحرُّر من العصبية والتقليد، وعلى الانفتاح على المذاهب المعتمدة والانتفاع بالثروة الفقهية المختلفة، وعلى مراعاة خطورة الفتوى بإعطائها حقَّها ومستحقَّها من الشَّرح والتعليل.

وفي مجال الحركة والدعوة والصحوة، فهو ابن كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، وهي جماعة الإخوان المسلمين منذ عام 1949م، وهي الجماعة التي أسَّسها الإمام الشهيد حسن البنا عام 1928م بعد سقوط الخلافة الإسلامية رسمياً عام 1924م، ومع تحرُّره تنظيمياً منها، فإنَّه بقي مرجعاً علمياً للعاملين للإسلام وللمسلمين جميعاً، وقد نظَّر للحركة الإسلامية وأصَّل في ترشيد الصَّحوة، فألَّف كتاب «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة»، كما ألَّف في ترشيد الصَّحوة الإسلامية كتاب «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي»، و«الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرُّف»، و«الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، و«نحو صحوةٍ راشدة.. تجدِّد الدِّين وتنهض بالدنيا».

وفي مجال الدعوة لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة إلاَّ وكان له نصيبٌ منها، من المساجد والجامعات ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والمؤتمرات والملتقيات والندوات، والتنسيق والعمل مع مختلف التنظيمات والهيئات العاملة

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

للإسلام في القارات الخمس، وقد وَهَبه الله القدرة على مخاطبة العامَّة والخاصَّة، والجمع بين مخاطبة العقول والقلوب، والتوفيق بين «التراث والتجديد»، والقدرة على الجمع بين الدعوة النظرية والحركة العملية، وربط التديُّن الفردي بهموم الأمة وقضايا العالم، والمَلَكة في الجمع بين «العقل الفقهي» و«العقل المقاصدي» و«الفقه الحضاري».

وفي مجال العمل والاجتهاد الجماعي المؤسَّسي، تمتَّع بالثقة وكان أهلًا لها، رسمياً وشعبياً، وهو ما أهَّله إلى تبوُّؤ مكانة متميِّزة في العطاء الجماعي والمؤسَّساتي، فقد كان عضواً مؤسِّساً في العديد من المجامع الفقهية والمجالس العلمية والمراكز الفكرية والهيئات الدعوية والمؤسَّسات الاقتصادية والجمعيات الخيرية، فهو عضو المجلس الأعلى للتربية وهيئة الإفتاء الشرعي في قطر، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لبنك قطر الإسلامي الدولي، ولمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين وكراتشي، ولبنك التقوى في سويسرا، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا، وعضو مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وخبير المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان، ومجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد، وعضو رابطة الأدب الإسلامي في الهند، وعضو مؤسس لجمعية الاقتصاد الإسلامي بالقاهرة، وعضو مجلس إدارة مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة في قطر، ونائب رئيس الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في الكويت، وعضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت بالأردن)، وعضو مؤسِّس للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وفي مجال الفقه السِّياسي، فالإسلام عنده لا يكون إلا سياسياً، وذلك لسببين رئيسين:

الأول: أنَّ الإسلام يوجِّه الحياة كلها؛ فهو ليس عقيدة لاهوتية أو شعائر تعبُّدية في علاقة خاصة بين الإنسان وربه فقط، بل هو منهجٌ متكاملٌ ينظِّم الحياة، ويوجه الفرد والمجتمع والدولة، ويتَّجه إلى صناعة النهضة وبناء الحضارة.

الثاني: شخصية المسلم شخصية سياسية؛ فالإسلام يضع في عنق كلِّ مسلم فريضة اسمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وهو يربِّي المسلم على مقاومة الفساد والاستبداد، وهو من أفضل الجهاد، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر»، ويغرس في نفس المسلم رفض الظلم ومقاومة الظالمين، ويعيش المعاني السِّياسية حتى في الصلاة والدعاء تجاه ذلك، فيقول في دعاء القنوت: «نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يَفجرُك»، ويحذِّر من السُّكوت على المنكر العام أو الخاص، فيقول القرآن: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (78) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة)، ويصنع تلك الشخصية الحسَّاسة تجاه تفجير الوعي بالواجب في التغيير، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَن رأى منكم منكراً فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وهو تعبئةٌ نفسيةٌ وشعوريةٌ ضدَّ كلِّ أشكال وأنواع المنكر، وهي تعبئةٌ إيجابيةٌ وليست سلبية، مستمرةٌ للأنفس والمشاعر والضَّمائر لا بد أن تُترجم في عمل ثوريّ إيجابي، يحْذَر النذير النبوي للأمة؛ إذ يقول: «إذا رأيت أمتي تهابُ أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منهم»، أي أنها فقدت الأهلية في الحياة.

اهتمَّ بالفقه السياسي تنظيراً وتنفيذاً وكان له حضور بالمواقف المهمة عربياً وإسلامياً وعالمياً

ولذلك وجدنا العلاَّمة القرضاوي قد اهتمَّ بالفقه السِّياسي تنظيراً وتأصيلاً وتنفيذاً، ووجدنا له حضوراً في المواقف السياسية المثيرة عربياً وإسلامياً وعالمياً، ومن أهمِّ الكتب التي أبدع فيها كتاب «من فقه الدولة في الإسلام»، الذي بسط فيه القول عن طبيعة الدولة في الإسلام ومكانتها ومعالمها وموقفها من الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين، وكتاب «السِّياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها»، الذي فصَّل الأسس والمرتكزات التي يقوم عليها فقه السِّياسة الشرعية، كما ألَّف ونظَّر لرؤيته السِّياسية في حلِّ الأزمة الحضارية للأمة، فألَّف كتاب «أين الخلل؟»، و«الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه»، و«ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده»، و«غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، وسلسلة حتمية الحل الإسلامي، مثل: «الحلول المستوردة وكيف جَنَت على أمتنا»، و«الحل الإسلامي فريضة وضرورة»، و«بيِّنات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغرِّبين»، و«الإسلام حضارة الغد».■

الإمام القرضاوي في الفضاء الإلكتروني الغربي

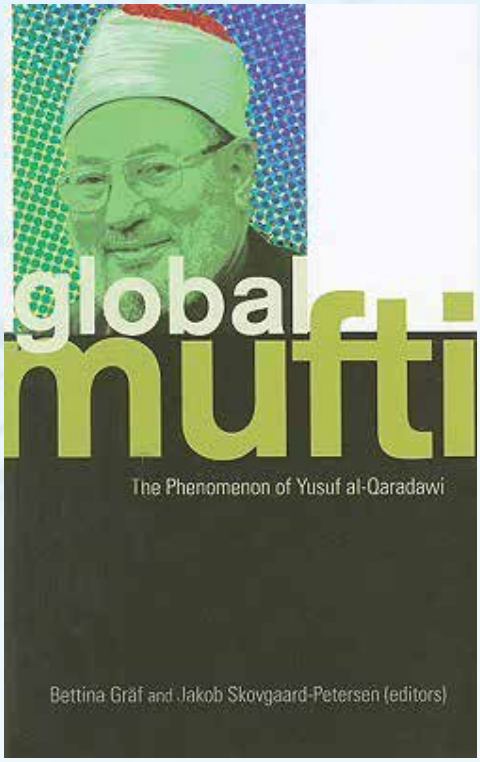

لم يكن مفاجئاً أن تُجمع وسائل الإعلام ومراكز البحوث العالمية بصفة عامة، والأوروبية بصفة خاصة، على أن العلاّمة د. يوسف القرضاوي كان من أبرز العلماء المسلمين، أو أبرزهم على الإطلاق في العصر الحاضر، وأكثرهم تأثيراً؛ فالقرضاوي من الذين تركوا بصمة بارزة ومتميزة، ليس في العالم الإسلامي وحده، ولكن في كل أنحاء العالم، وقد كان، رحمه الله تعالى، متميزاً ليس في فكره فقط، ولكن في الوسائل التي استخدمها لإحداث التأثير والوصول للجمهور.

جراف: شكّل سلطة عالمية شبه عابرة للدول وشعبية جارفة بجميع أنحاء العالم

جمال خطاب

البداية في بحث لها بعنوان «الشيخ يوسف القرضاوي في الفضاء الإلكتروني»، تتحدث الكاتبة الألمانية «بتينا جراف» عن الإمام القرضاوي كسلطة عالمية شبه عابرة للدول، وشعبية، لا جدال فيها، حسب تعبير الكاتبة، في جميع أنحاء العالم، بناء على نشاطه في كل من وسائل الإعلام التقليدية والجديدة.

وتقول «جراف»: إن يوسف القرضاوي كان من أوائل العلماء الذين أدركوا أن التعاون مع الصحفيين والمحررين ومنتجي المؤسسات الإعلامية الجديدة من شأنه أن يساعد في استعادة تأثير علماء المسلمين في المجتمعات الإسلامية وفي جميع أنحاء العالم.

مفتٍ عالمي

يقول موقع «آي إفرين» الإخباري: لقد كان القرضاوي عالماً معترفاً به عالمياً، ألَّف عشرات الكتب التي تثبت أنه خبير ديني في شتى المجالات العلمية الإسلامية، وكان مرجعاً دينياً معترفاً به عالمياً له برنامجه التلفزيوني الخاص على شبكة الأخبار العربية الأكثر مشاهدة في العالم «الجزيرة»، وقد استخدم هذه المنصة للترويج للأفكار التي ناقشها عبر كتاباته العديدة، إلى جانب ذلك، ساعد أيضاً في إنشاء وترؤس المجلس الأوروبي للفتوى والبحوث، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وهما منظمتان علميتان إسلاميتان عابرتان للحدود، ساعدتا في ترسيخ سمعته كـ«مفتٍ عالمي».

ويضيف: وبناء مع فهمه الشامل للإسلام، كتب وتحدث عن مجموعة واسعة ومتنوعة من القضايا، تبدأ بالعقائد والعبادات والمعاملات الدينية، ولا تنتهي عند الديمقراطية وفلسطين وتغير المناخ، وكل ذلك من منظور إسلامي.

وتحت عنوان «وفاة العالم المسلم والقائد الروحي للإخوان يوسف القرضاوي عن 96 عاماً»، قالت «ميدل

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

إيست آي»: أطلق عليه البعض لقب إسلامي معتدل، بسبب إعادة تفسيره للأمور المتعلقة بالمسلمين في الغرب والدفاع الإيجابي عن الديمقراطية، ولكنه تعرض لانتقادات شديدة من قبل آخرين لدعمه الصريح للتفجيرات الانتحارية ضد أهداف عسكرية «إسرائيلية»، ومعارضة الغزو والاحتلال بقيادة الولايات المتحدة للعراق عام 2003م.

تناقض مزعوم

وفي بحث منشور على موقع معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، يزعم الباحثان «د. جيكل»، و«السيد هايد»، أن هناك تناقضاً في مواقف د. يوسف القرضاوي، حيث قالا: كان الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس قسم الدراسات السُّنية في جامعة قطر العالم الإسلامي المعروف، أول من شرع إسلامياً العمليات الانتحارية لحركة «حماس» في العالم

حسن: كان مثل الطبيب يصف الدواء للمريض ثم يوقف الوصفة عندما يصبح المريض غير محتاج لها

العربي السُّني (1995م)، لكنه كان أيضاً من أوائل العلماء المسلمين الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة.

ويمكن الرد على هذا التناقض المزعوم بما قاله حسن حسن، مؤسس ورئيس تحرير مجلة «نيو لاينز»، في مقال بعنوان «القرضاوي يترك وراءه إرثاً معقداً»؛ حيث يقول: إن القرضاوي غيَّر رأيه في التفجيرات الانتحارية في صيف عام 2016م، حيث قال، في يوليو من ذلك العام: كان الإخوة الفلسطينيون بحاجة إلى «تكتيك» لبث الرعب في قلوب «الإسرائيليين»، قالوا لي: إنهم لم يعودوا بحاجة إليها، لذلك أخبرتهم أنني لم أعد أوافق على ذلك.

ويعلق حسن على الفتوى قائلاً: الطريقة التي تتصل بها من الفتوى معبرة، فهو مثل الطبيب يصف الدواء للمريض، ثم يوقف الوصفة عندما يصبح المريض ليس بحاجة إليها؛ ولذلك رفض القرضاوي إدانة هذه الممارسة بشكل عام.

المقاومة ليست إرهاباً

وقد كان موقف القرضاوي واضحاً في التفريق بين المقاومة والإرهاب، لكن يبدو أن الغربيين، حتى الباحثين منهم، لا يحتملون الاختلاف معهم حتى في بعض التفاصيل، أو أنهم لا يفرقون بين الدفاع الشرعي عن الحقوق والعنف للعنف والإرهاب لفرض الاستبداد والهيمنة والأمر الواقع، ويريدوننا أن نكون غربيين أكثر من بعض الغربيين أنفسهم؛ فقد ذكر الباحثان في نفس البحث أن القرضاوي قال رداً على سؤال: كيف يتعامل المسلمون وخاصة في فلسطين مع اليهود؟ أجاب: محاربة اليهود لا تعني أن نعاملهم معاملة غير إنسانية، لكن يجب على كل مسلم أن يعرف أن واجبه في هذا الوضع هو المشاركة في الجهاد ضد اليهود الذين اغتصبوا أراضينا وارتكبوا العديد من أعمال التدنيس لمقدساتنا.

ويذكران في البحث ذاته أيضاً تصريحاً يدعو فيه القرضاوي لتعريف الإرهاب والتفريق بينه وبين المقاومة ويعتبرانه متناقضاً فقط لأنه يطالب بالاعتراف بحق الفلسطينيين في المقاومة، عندما ينقلان قوله: من المهم للغاية تعريف الإرهاب وعدم ترك القضية غامضة كما تريد أمريكا، يريدون تفسير الإرهاب كما يحلو لهم، هناك مؤسسة الوفاء؛ وهي

غيَّر فتواه الخاصة بالعمليات الاستشهادية بعد زوال الحاجة إليها

«صوت أمريكا»: كان قوة رئيسة وراء ثورات «الربيع العربي» في الشرق الأوسط

NEW LINES MAGAZINE

Subscribe

Reportage Argument Anchored in History First Person Review

/Argument Extremism | 7 MIN READ

Yusuf al-Qaradawi Leaves Behind a Complex Legacy

The influential cleric died overnight; though he was often vilified in the West, some in the Muslim world see him as a moderate

Hassan Hassan

Hassan Hassan is Founder and Editor in Chief of New Lines magazine

September 26, 2022

THE WASHINGTON INSTITUTE for Near East Policy

ANALYSIS EXPERTS ABOUT SUPPORT MAPS & MULTIMEDIA

TRENDING: Great Power Competition / Proliferation / Iran / Lebanon / North Africa / All Regions & Issues

Policy Analysis / PolicyWatch 576

Shaykh Dr. Yousef al-Qaradawi:

Dr. Jekyll and Mr. Hyde

Oct 18, 2001

مؤسسة خيرية إنسانية تتعامل مع حفر الآبار وبناء المساجد والمدارس، وليس لها علاقة بالسياسة، تمت إضافتها إلى قائمة الإرهابيين في التقرير السنوي الأمريكي لوزارة الخارجية، الإرهاب هو قتل الأبرياء بلا مبرر، ولا تفريق بين الأبرياء وغير الأبرياء، الفلسطينيون لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم، ولكل منهم الحق في أن يفجر نفسه، ويجعل من نفسه قنبلة بشرية، ويفجر نفسه ضد عدوه ليقتله.

لم يكتف القرضاوي بتأليف حوالي 120 مؤلفاً على أقل التقديرات، غير آلاف المحاضرات والبرامج التلفزيونية التي وصلت لمئات الملايين في أنحاء العالم، ولكنه انطلق ينشئ المؤسسات العلمية والخيرية أو يدعو إلى إنشائها، ففي القضية الفلسطينية فقط، وهي وإن كانت قضية محورية بالنسبة له إلا أنها واحدة من قضايا كثيرة كان مهتماً بها، نجده اهتم، كما تقول «ميديل إيست مونوتور»، بإضفاء الطابع المؤسسي على الجهود المبذولة لتحقيق هذه الغايات؛ حيث إنه مقتنع بأن الأمة الإسلامية تمتلك قوة مالية وسياسية واقتصادية هائلة وغير محدودة، مع عدم وجود تقدير حقيقي لهذه القوة التي تجعل من الممكن توظيفها بالشكل الصحيح.

فارس «الربيع العربي»

تحت عنوان «يوسف القرضاوي: باحث وناشط ساعد في إحداث ثورة في مصر»، قالت «ميدل إيست آي»: بينما تجمع مئات الآلاف من الناس في ميدان التحرير بالقاهرة لأداء صلاة الجمعة، في 18 فبراير 2011م، صعد رجل دين مسن إلى المنصة لمخاطبة المؤمنين.

وهو، كما ذكرت «إذاعة صوت أمريكا»، كان قوة رئيسة وراء ثورات «الربيع العربي» عام 2011م في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وهو معروف لدى الكثيرين بأنه قوة بارزة في ثورات «الربيع العربي» التي أطاحت بزين العابدين بن علي، وحسني مبارك، ومعمر القذافي، وهو الذي دعاهم علناً إلى التنحي على قناة «الجزيرة». ■

المصادر

1- file:///C:/Users/Gamal%20Khatab/Downloads/Sheikh_Yusuf_al_Qaradawi_in_Cyberspace.pdf

2- https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/shaykh-dr-yousef-al-qaradawi-dr-jekyll-and-mr-hyde

3- https://ievren.org/middle-east/yusuf-al-qaradawi-the-muslim-scholar-who-influenced-millions/

4- https://newlinesmag.com/argument/yusuf-al-qaradawi-leaves-behind-a-complex-legacy/

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

القاهرة: خالد يونس

رسائل دكتوراة وماجستير سلطت الضوء على فكر الشيخ ومؤلفاته..

الإمام القرضاوي في دراسات الباحثين الأكاديميين

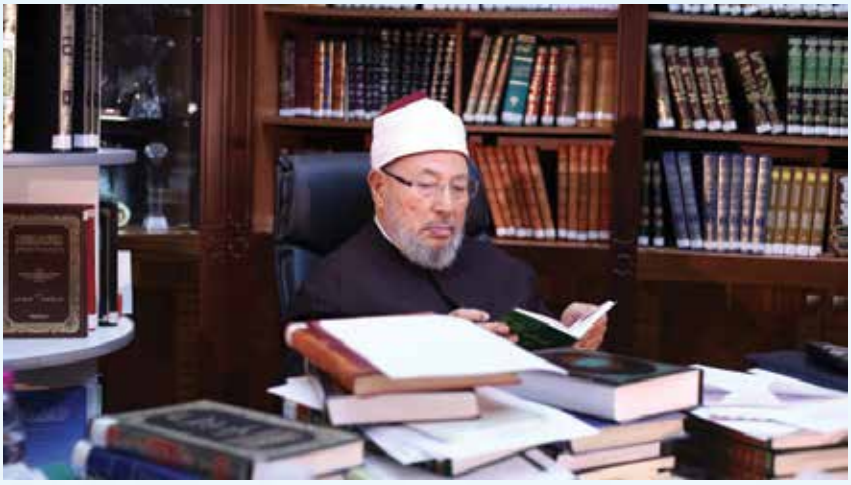

حظيت مؤلفات فقيه العصر الإمام د. يوسف القرضاوي، رحمه الله تعالى، باهتمام كبير من الباحثين في مختلف تخصصات العلوم الشرعية الإسلامية والفكرية والأدبية؛ فجعلوا منها محوراً لموضوعات رسائلهم البحثية التي تقدموا بها للحصول على درجتي الماجستير الدكتوراة في مختلف الجامعات العربية، وفيما يلي نلقي الضوء على بعض هذه الرسائل:

1 - منهج د. يوسف القرضاوي في تجديد الفقه الإسلامي:

كان هذا العنوان الذي نال به الباحث أكرم رضا مرسي درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، في 26 شوال 1428هـ/ 7 نوفمبر 2007م.

وقد ذكر الباحث أن سبب اختياره للموضوع يرجع إلى عدة أمور، من أهمها الانتشار الواسع للدكتور يوسف القرضاوي، سواء على مستوى مؤلفاته، أو أحاديثه المذاعة والمرئية، وفتاواه أو أعماله المتعلقة بالفقه، سواء على مستوى المجامع الفقهية أم المؤسسات التي تهتم بالفقه وأصوله؛ ما جعل دراسة منهجه في التجديد حرثاً في حقل خصب، تؤمل ثماره، وينتظر خيره.

وضمن نتائج البحث توصل الباحث إلى أن د. القرضاوي استكمل مقومات الاجتهاد وتوافرت فيه شروطه، حتى استطاع أن يدلي بدلوه في كافة القضايا، مستنبطاً مباشرة من الكتاب والسُّنة، من غير اعتماد على مذهب معين أو عالم محدد.

2 - ملامح الفكر التربوي الإسلامي عند القرضاوي:

تحت عنوان «ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ يوسف القرضاوي» كانت رسالة الماجستير المقدمة من الباحث محمد صالح إبراهيم البيك إلى جامعة غزة، التي استهدفت بيان ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات الشيخ، والكشف عن العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصية الشيخ، رحمه الله، والتعرف إلى خصائص التربية الإسلامية في ضوء كتاباته، والكشف عن نظرة القرضاوي للعلم، وإبراز تصوره للقيم، والوقوف على نظرته في التعاطي مع قضايا المرأة، ونظرته للتغير الثقافي والاجتماعي.

3 - منهج التجديد وأثره في الإصلاح عند الشيخ يوسف القرضاوي:

تحت هذا العنوان كانت رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، تقدم بها الباحث إبراهيم حسن عبدالله التركاوي، أوضحت أن التجديد الديني يعني عودة الإسلام إلى ما كان عليه في

عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، ووصف الباحث في رسالته العلاَّمة د. القرضاوي بأنه متعدد المواهب في الكثير من العلوم مثل الشعر والخطابة والدعوة والفقه والتفسير وعلم اللغة وأصول الدين وعلم النفس والاجتماع والتربية والاقتصاد والسياسة.

4 - القرضاوي نموذجاً لعلماء الوسطية:

كما ناقش الداعية الإسلامي د. أكرم كساب، الأمين العام لرابطة تلاميذ القرضاوي، في 26 من ذي القعدة 1432هـ/ 24 أكتوبر 2011م، رسالة دكتوراة بجامعة مكة المكرمة المفتوحة حول «وسطية الإسلام ودور العلماء في إبرازها.. القرضاوي نموذجاً»، وكان مما توصلت إليه الرسالة أن الشيخ القرضاوي أبرز دعاة «الوسطية»؛ لما اتسمت به دعوته بالمنهج الوسطي، الذي لا يعرف الإفراط ولا التفريط.

5 - الاجتهاد المقاصدي في فتاوى القرضاوي:

«فتاوى القرضاوي في الحكم والسياسة والاجتهاد المقاصدي» كان عنوان الرسالة المقدمة من الباحث عبدالسلام آيت سعيد إلى جامعة الجزائر لنيل درجة الدكتوراة، ومما خلصت إليه أن منهج الشيخ في الإفتاء المقاصدي يقوم على التيسير وعدم التعسير، والاعتماد على الحجة والدليل، والتحرر من العصبية والتقليد، والانتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة، وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم، والاهتمام بما يصلح شأنهم والإعراض عما لا ينفعهم، والاعتدال بين الغلاة والمقصرين، وإعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح والتعليل.

كما خلصت إلى أن أغلب فتاوى الشيخ القرضاوي تكون مربوطة بذكر المقصد والحكمة والغاية منها، وهذا ما جعلها

ملامح الفكر التربوي الإسلامي في ضوء كتابات
الشيخ يوسف القرضاوي
إعداد الباحث
محمد صالح إبراهيم البيك
إشراف
الدكتور/ حمدان الصوفي

تحظى بقبول عام من جماهير المسلمين، في جميع أصقاع العالم الإسلامي، وأن الشيخ القرضاوي من المفكرين القلائل الذين يجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، كما أن كتاباته تميزت بما فيها من دقة الفقيه، وإشراقه الأديب، ونظرة المجدد، وحرارة الداعية.

6 - الطابع الأدبي في خطابة القرضاوي:

أما الباحث سيد هريدي سيد محمد فكانت أطروحته لدرجة الماجستير حول «الطابع الأدبي في خطابة الدكتور العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي»، وقد نوقشت في 22 فبراير 2006م بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وقد كشفت الرسالة النقاب عن جوانب الموهبة المتميزة لدى فضيلة العلاَّمة القرضاوي منذ الصغر، التي من مظاهرها أنه يعد أحد شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وقد نظم قصائد وأناشيد رددها دعاة الإسلام فأيقظت القلوب بالإيمان وأشعلت الأرواح بالجهاد، ومن شعره قصيدته النونية، وهي أشبه بملحمة تصور محنه وآلامه.

كما سلطت الرسالة الضوء على الطابع الأدبي للعلاَّمة القرضاوي في خطاباته، ما يدل على منزلته ومكانته بين الخطباء المعاصرين له من ذوي الأثر والتأثير في النهضة الخطابية المعاصرة، وخلصت الرسالة إلى عدة نتائج، منها:

- الإخلاص في تبليغ الدعوة، التي اعتبرتها الرسالة من أهم أسباب نجاحها، في وقت هبط فيه مستوى كثير من الدعاة بسبب أن بعض الذين يلتحقون بميدان الدعوة كانوا يعدونها وظيفة ووسيلة من وسائل السعي على المعاش، ولا يعدونها رسالة يخلص الداعي في أدائها، ويتفانى في تبليغها ونشرها، وقد تبين ذلك من خلال كثرة الخطب التي تهتم بقضايا الأمة وآلامها، التي كرس لها الشيخ زهرة عمره في التعبير عنها.

- خطب القرضاوي من الخطب الأصيلة التي تعالج قضايا الأمة الإسلامية ومشكلاتها، من وجهة نظر داعية إسلامي غيور على دينه وعلى أمته، بل على الإنسانية جمعاء.

- مراعاة الخطبة لمقتضى الحال، فإما أن تكون قصيرة موجزة إن كان موضوعها سهل التناول خالياً من المعارضة والتنازع، أما إذا كان الموضوع شائكاً يتعلق بأمر فيه اختلاف فتكون طويلة لتشمل سائر جوانب الموضوع.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

فارس العلماء المجاهدين الشيخ القرضاوي.. يترجل

راشد الغنوشي
رئيس حركة النهضة التونسية

منذ ما لا يقل عن نصف قرن حجز شيخنا الحبيب مقعده في الصف الأول من قادة الفكر والسياسة والدعوة الإسلامية، وما تلبث طويلاً حتى انفرد بمقعد الرئاسة شاقاً وسط الفوضى الفكرية والدعوية الإسلامية نهجاً متميزاً لا يزال به يمحضه ويدققه ويطوره ويوسع تطبيقاته، إنه «نهج الوسطية» كما دعاه، الوسطية في الاعتقاد والوسطية في السياسة، وفي كل مجال هناك وسط ذهبي بين تطرفين.

نشأ شيخنا الحبيب أزهرياً لامعاً متفاعلاً مع عصره، وتعرض كأمثاله لأنواع من البلاء، إلا أن السياسة لم تصرفه -وهي مناط التكليف- عن التبحر في علوم الشريعة من حيث تفاعلها مع الواقع المتطور في كل أبعاده الثقافية والفكرية والعلمية والاقتصادية والدولية، فإنما جاء الإسلام ليقود الحياة وليس ليعتزلها هامشاً من هوامشها، جاء ليطورها في اتجاه تحقيق مقاصده العليا في العدل والحرية والكرامة.

لقد خاض الشيخ خلال ثلاثة أرباع قرن من حياته معارك باردة وحارة على جبهات كثيرة، جمعتها موسوعة عظيمة زاخرة بفيض من العلوم والمعارف، ضمت 170 كتاباً (موسوعة القرضاوي)، لعل أهمها كتابه «الحلال والحرام في الإسلام»، وأطروحته للدكتوراة «فقه الزكاة»، وكتابه الضخم حول «فقه الجهاد» لعله أعظم ما ألَّفه عالم مسلم حول الجهاد، الذي بقدر نُبل أغراضه في الإسلام إذا فهم على حقيقته بقدر ما تم استعماله للضرر به وتشويهه، من خلال فهوم معوجة منحرفة حول الجهاد كما حصل في أزمنة مختلفة وبخاصة خلال نصف القرن الأخير، حيث فشا الظلم، فكانت الفرص للانفلات والفوضى والإجرام باسم الجهاد، ولأن الله تعالى حافظ دينه فقد قيَّض علاَّمتين؛ الشيخ محمد الغزالي، والشيخ يوسف القرضاوي (الأستاذ والتلميذ)، ليذبَّا عن دين الله هجمة المغالين وانتحال المنتحلين وتطرف المتطرفين وتوحش المتوحشين المستبيحين للدماء وللخراب، موفرين للأعداء المتربصين فرصاً كثيرة لرمي الإسلام بالإرهاب وتشويهه.

لقد تصدى الشيخ وتلميذه لظاهرة الإرهاب في موطن انطلاقها بمصر كرد فعل أهوج على ظلم الحكام وتوحشهم.

ولم تكن الحملات الأمنية على اتساعها وتجاوزاتها مؤهلة للوقوف في وجه فكر العنف والتطرف، ولولا الله الحافظ لدينه الذي سخر القرضاوي ومدرسة الوسطية للرد على هذه الفهوم المتطرفة لتم اختطاف الإسلام من طرف الإرهاب والشبكات المتحالفة معه.

ومن نكد الزمان وقلب حقائق الأمور رأساً على عقب أن تبلغ الاستطالة على أهم رمز للإسلام الوسطي المعاصر تم اختياره من طرف أكبر منظمة علمائية معاصرة (اتحاد علماء المسلمين) ضمت في عضويتها عشرات الآلاف من العلماء، فيُرمى رئيسها بالإرهاب! «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً».

سيبقى القرضاوي شيخنا الحبيب رافعاً لواء إسلام الوسطية والاعتدال، ما بقي مؤذن يوقظ الغافلين «حي على الصلاة حي على الفلاح».

وأنا أشرف بأني من تلاميذ القرضاوي، تبادلت معه المحبة والإعجاب والرأي، شاهداً أنه كان، رحمه الله، من القلة الذين قرأت عنهم قبل أن ألقاهم، فلما لقيته لم تهتز الصورة وإنما زادت رفعة وإشراقاً، وكذا كان الأمر مع أستاذي الآخر الجزائري مالك بن نبي، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة، وأخلف فيهما أمة الإسلام والأهل خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.■

القرضاوي.. الفقيه المربي المفتي المعلِّم

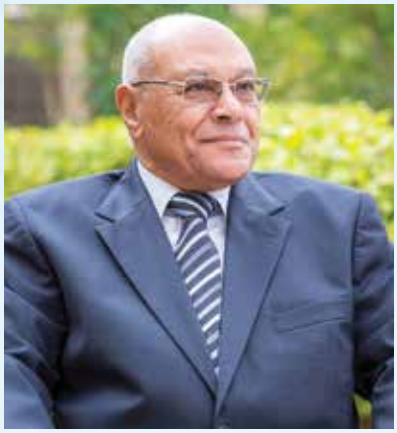

د. محمد سليم العوا

مفكر إسلامي- مصر

أنعى إلى العالم الإسلامي العلاَّمة الداعية الفقيه د. يوسف القرضاوي، الرئيس المؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وأسألُ الله تبارك وتعالى أن يرزقه الجنة، وأن يجعل مقعده في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

كما أسألُ الله تبارك وتعالى أن يجزل مثوبته عما قدم لدينه وأمته من خير، وأن يجعل غير ذلك مغموراً بمغفرته ورحمته ورضوانه سبحانه وتعالى.

وأتقدم بالعزاء الخالص لأبنائه وبناته، حفظهم الله جميعاً، وجميع أهل العلم في أقطار المعمورة كافة، فالمصاب مصابنا جميعاً.

لقد عرفتُ العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي منذ عام 1956م، ولم تنقطع صلتنا إلى أن اشتد به مرضه الأخير، رحمه الله، وأشهد أنه كان صادقاً فيما يقول، مخلصاً فيما يعمل، متوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى في صغير الأمور وكبيرها، ولذلك كانت مكانته في العالم الإسلامي مكانة الفقيه المربي المفتي المعلِّم؛ فرحمه الله رحمة واسعة، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وألحقنا به في الصالحين، وثبتنا على ما اجتمعنا في الدنيا عليه إلى أن نلقاه يوم القيامة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.■

في وداع القرضاوي يرحمه الله

د. محمد يسري إبراهيم

أمين عام الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، وكيل جامعة المدينة العالمية

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد..

هكذا جلّ الخطب وفدح الأمر، وعظم المصاب بفقْد العالم العَلَم، والجبل الأشم، والإنسان الشهم؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: 68).

فقد اختاره الله تعالى على علم بأبناء هذا الزمان؛ فجعله معيناً لا ينضب، وذخيرة لا تنفد، وتراثاً يتجدد.

ومهما قيل عن فضائله ومآثره وسوابقه وأوائله فإن أول ما يلحظ توفيق الله له، وعنايته به، ولولا هذه العناية لكان ككثير من علماء موهوبين انقضت حياتهم ولم يتحقق تمام النفع بهم.

وقد يقبض الله عالماً في الثلاثينيات من عمره، بعد أن يترك مصنفاً أو مصنفين فيتخلد في الناس ذكره بما كتب الله له من القبول؛ فكيف بمن ترك مائتي مصنف وعاش مائة عام، وفوق ذلك كان الله في عونه؟!

إن القرضاوي، رحمه الله، آية في منافسة الزمان، وسبق الأقران ونفع بني الإنسان، قد بلغ في العلم شأوا بعيداً، وفي الأمانة منزلاً فريداً، فلم يكن بمستغرب أن يكون للحق رجاعاً، وعند أحكام القرآن والسُّنة وقافاً، وقد أمدَّ الله في أجله، وبارك له في تلاميذه؛ فما زالوا محيطين به، ومراجعين لكتبه، مقدمين لاجتهاداته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد مات القرضاوي وبقيت علومه، وغاب عن الحياة واستمرت مؤسساته، ولقي ربه بعد أن شهدت له القارات الست بأنه قد جابها إلى الله تعالى داعياً، وبالإسلام مبشراً، وعن أحكامه منافحاً؛ فطوبى لمن طال عمره وحسن عمله، وشهد له شيوخه وأقرانه وتلاميذه!

عوض الله الأمة عن فقد علمائها الصالحين، ودعاتها الموفقين، وأحسن العزاء في شيخنا القرضاوي، وقبل منه شفاعة أهل هذا الزمان من عباده المؤمنين، وجمعنا جميعاً تحت راية إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

فلسطين المحتلة- محمد سالم:

فلسطينيون: رحيل الشيخ القرضاوي خسارة كبيرة للمقاومة

شكّل رحيل فضيلة الشيخ العلاّمة يوسف القرضاوي حزناً عميقاً في أوساط الشعب الفلسطيني، وعلى رأسهم قوى المقاومة؛ لما مثله من دعم ومؤازرة للمقاومة طيلة حياته، مدافعاً عن الحق الفلسطيني ومقدساته، وسخر كل المنابر من أجل فلسطين وقضيتها العادلة، وحق مقاومة الصهاينة والدفاع عن المسجد الأقصى المبارك.

فور الإعلان عن رحيل العلاَّمة د. يوسف القرضاوي، رثا الفلسطينيون هذا الشيخ الإمام الذي مثَّل سنداً قوياً للقضية الفلسطينية، ووصفته قيادات المقاومة بمجدّد العصر؛ فبرحيله فقدت المقاومة إحدى أهم الدعائم المساندة لها ولقضيتها؛ حيث سخر كل ما يمتلك من أدوات تأثير وإقناع للدفاع عن فلسطين ومقدساتها، وكان على يقين بانتصار المقاومة وتحرير فلسطين من خلال الاستمرار في حمل لواء الجهاد والمقاومة ضد الصهاينة.

المتحدث باسم حركة «حماس» عبداللطيف القانوع، قال لـ«المجتمع»: إن رحيل الإمام القرضاوي، رحمه الله تعالى، شكّل نقطة ضعف في حاضر أمتنا الإسلامية، حيث كان سنداً وصوتاً ممتداً للقدس في ربوع العالم، مدافعاً عنها ومحرضاً على التصدي للاحتلال الصهيوني ومقاومته في ساحات المسجد الأقصى المبارك، لافتاً إلى أنه كرَّس حياته للتمسك بفلسطين والدفاع عنها، والتأكيد أن طريق المقاومة هو الطريق الوحيد لتحريرها بصبر وثبات، وغرس في الأجيال حب القدس و«الأقصى».

وأكد القانوع أنه بعد رحيل الشيخ القرضاوي على أمتنا الإسلامية السير على دربه في إسناد قضيتنا العادلة، ودعم شعبنا، والحفاظ على نهجه الوسطي الذي أرسى الاعتدال وشمولية الإسلام وتكامله، وبات مجدّد العصر وقدوة للأجيال.

ولفت المتحدث باسم «حماس» إلى أنه في ظل الخطر الداهم على المسجد الأقصى يجب دعم أهلنا المقدسيين والمرابطين في ساحاته الذين يعملون على إفشال مخططات الاحتلال من تهويد للمسجد وتقسيمه، ويتصدون لاقتحامات عصابات المستوطنين لباحاته ومحاولاتهم المستمرة تدنيسه.

واستذكر القانوع زيارة الشيخ القرضاوي التاريخية إلى قطاع غزة عبر معبر رفح البري، في مايو 2013م، على رأس وفد مكون من 50 عالماً من 14 دولة، والاستقبال الحاشد للجماهير الفلسطينية له وخطبته في المسجد العمري الكبير وسط مدينة غزة، في رسالة مهمة لكل العالم أن كل الأمة تدعم صمود ومقاومة الشعب الفلسطيني.

واستذكر القانوع أمنيات للإمام القرضاوي، وهي أن يزور «الأقصى» محرَّراً ويؤدي فيه صلاة الفتح والنصر.

في مقدمة الصفوف

إلى ذلك، أصدرت حركة «الجهاد الإسلامي» في فلسطين بياناً، عبرت فيه عن حزنها لرحيل العلاَّمة الشيخ القرضاوي، الذي كرَّس حياته في دعم وإسناد حق الشعب الفلسطيني في المقاومة ضد الصهاينة حتى لقي ربه.

وقال القيادي في حركة «الجهاد الإسلامي» طارق سلمي لـ«المجتمع»: إن فلسطين فقدت عالماً عظيماً دافع عن فلسطين وتقدم الصفوف من أجلها، وظل يتحدث عن فلسطين ويدافع عن المقاومة و«الأقصى» في خطبه ودروسه ومواعظه؛ ما شكل نقطة تحول مهمة في استنهاض وعي المقاومة عند الأمة تجاه تحرير فلسطين.

ووجه سلمي رسالة لعلماء الأمة أن يستمروا في نهج الشيخ القرضاوي والقيام بدور فعال للدفاع فلسطين، وهذا يحتاج لإستراتيجية لنصرة القضية، التي هي بحاجة ماسة للأمة في ظل ما تتعرض له من عمليات التهويد التي بلغت مستويات خطيرة في ظل العدوان الشرس على القدس والمسجد الأقصى ومحاولات الجماعات الصهيونية تقسيمه، واستمرار الاحتلال الصهيوني في مخططات الضم الاستعمارية، وإقامة آلاف الوحدات الاستيطانية، والاستمرار في مسلسل التهجير القسري والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني.

في السياق، قال مدير مركز القدس الدولي حسن خاطر لـ«المجتمع»: رحم الله الشيخ د. يوسف القرضاوي الذي خسرت قضيتنا الفلسطينية وأمتنا الإسلامية بوفاته عالماً جليلاً وقائداً ملهماً لجيل الشباب والشيوخ على حد سواء.

وأضاف: كان يحب فلسطين والقدس والشعب الفلسطيني المجاهد كما كان يصفه في خطاباته ودروسه، إضافة إلى

«الجهاد الإسلامي»: شكل نقطة تحول مهمة في استنهاض وعي المقاومة عند الأمة تجاه تحرير فلسطين

أبو حلبية: رسم خارطة طريق لعلماء الأمة للاستمرار في دعم المقاومة الفلسطينية

خاطر: كان قائداً ملهماً للشباب والشيوخ.. وفلسطين الخاسر الأكبر برحيله

كل مسؤولياته وعضويته في عشرات المؤسسات العالمية، لم يتوانَ عن تحمل مسؤولية الأمين العام لمؤسسة القدس الدولية لحبه للقدس و«الأقصى».

وتابع: أحزنني خبر وفاة الشيخ رحمه الله تعالى، ووجدت نفسي أستذكر مواقف متواضعة لي مع فضيلته، فعلاقتي مع الشيخ القرضاوي بدأت ككثير من الشباب بقراءة كتبه والاستماع إلى محاضراته، ثم حضور مناسباته الفكرية والثقافية في إطار ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد في الجزائر في ثمانينيات القرن الماضي عندما كنت طالباً في الجامعة.

حياته وفكره لفلسطين

من جانبه، قال رئيس مؤسسة القدس الدولية أحمد أبو حلبية لـ«المجتمع»: إن الشيخ القرضاوي مثَّل دعماً لا مثيل له لفلسطين، وكان متابعاً لقضية القدس وعدوان الاحتلال ويندد بالعدوان المستمر على الحق الفلسطيني، وقد ألَّف وكتب الشيخ أكثر من 5 مؤلفات حول فلسطين وقضيتها العادلة، وشارك في المئات من الفعاليات والمناسبات والمؤتمرات الداعمة للقدس وفلسطين، لافتاً إلى أنه شارك معه في أكثر من لقاء ومؤتمر وملتقى أقامته مؤسسة القدس الدولية التي يرأسها على مستوى العالم.

وبيَّن أبو حلبية أن الشيخ القرضاوي، رحمه الله، كانت له كلمات فعالة وقوية، وقد شجع ذلك المؤسسات حول العالم لتقديم الدعم لتعزيز صمود أهالي مدينة القدس، بالإضافة لاجتماعاته المستمرة بقيادات المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتهم قيادات حركة «حماس» لدعم استمرار المقاومة في وجه الاحتلال.

وأشار أبو حلبية إلى أن الشيخ القرضاوي دائماً ما كان يشيد بالمقاومة وصمود الفلسطينيين، وكان مهتماً بها، وكانت جزءاً من حياته، وكان لا يترك وسيلة إلا ويستخدمها للدفاع عن فلسطين والقدس، وفضح ممارسات وانتهاكات الصهاينة للمقدسات والمجازر المستمرة بحق الشعب الفلسطيني.

وأكد أبو حلبية أن الشيخ القرضاوي رسم لعلماء الأمة خارطة طريق للدفاع عن فلسطين، وقد قرأت وصيته لعلماء الأمة التي ركز فيها على ضرورة قيام الأمة بالدفاع عن قضيتهم الأولى، وهي القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى، وأن يتوحد العلماء فيما بينهم لحماية الأمة ومعالجة الخلافات بينهم.

وقد عجت وسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين بصور الشيخ القرضاوي، يرحمه الله، مستذكرين مواقفه النبيلة والصادقة في الذود عن «الأقصى» والوقوف إلى جانب المقاومة، ودعوته المستمرة للاستمرار في الانخراط في نهج المقاومة، ورفض كل مخططات الاستسلام، التي تهدف لتصفية القضية الفلسطينية، مؤكدين أن فلسطين ستبقى تذكر الشيخ العلاَّمة القرضاوي، الذي كان من أبرز دعاة العصر الحديث الذين عاشوا هموم ومعاناة الشعب الفلسطيني وكرسوا كل حياتهم للدفاع عنها.■

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

الرباط- عبدالغني بلوط:

شهادات من المغرب في حق الإمام يوسف القرضاوي يرحمه الله

عبدالإله بن كيران: كان أستاذنا في الوسطية والاعتدال

ماذا عساني أن أقول عن الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله، الذي قدم خدمات جليلة للأمة الإسلامية في كل الميادين والمجالات، معرفتي به الشخصية تعود إلى حوالي 40 عاماً، وهو بالنسبة إلينا أستاذ لجيل بكامله والمرجع الأول للحركة الإسلامية التي عشتها، وكانت أفكاره برداً وسلاماً على الحركة الإسلامية منذ كتاباته الأولى، وإني قد لا أذكر كل كتبه، ولكني قرأت معظمها وتأثرت بها، وقد كنت صاحب مكتبة وكان أكثر الكتب طلباً كتبه، رحمه الله.

وقد ساهم إلى جانب آخرين في نشر ثقافة الصحوة الإسلامية، خصوصاً أفكاره وآراءه وقوته في الخطابة وحجيته وصدقه، وكتبه المشهورة التي كانت تتقبل بقبول حسن، ومن بينها «الحلال والحرام في الإسلام»، وأخص بالذكر كتابه «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف».

وكان واحداً من كبار أساتذتنا في الوسطية والاعتدال، وسباقاً إلى الدعوة إليها، كما الدعوة إلى الاندماج في المجتمع والتفاعل معه إيجابياً وحسن الظن بالناس بخلاف بعض الاجتهادات التي ترى الانعزال عن المجتمع أو الموقف السلبي منه، وأيضاً دعوته إلى الابتعاد عن التطرف والسرية والتشدد، والمشاركة في الحياة السياسية.

والرجل، رحمه الله، وعلى مدى خمسين سنة تقريباً التي عشتها في الحركة الإسلامية، كان هو الأستاذ الأول سواء تعلق الأمر بفكر الصحوة أو بفقه الدين، أو بفقه الوسطية والاعتدال، وكذلك زرته في قطر أكثر من مرة، وهو قريب مني، أخ كبير صديق عزيز كما أسلفت.

نحن متأثرون بوفاته، لكنه قام بواجبه على أحسن الوجوه، وأدى دوره كما يجب، وبه وبمثله تعتز الأمة وتفتخر، ونسأل الله تعالى أن يبعث في الأمة من يقوم بهذا الدور في المستقبل، وأن يرحمه ويغفر له.■

(الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، رئيس الحكومة المغربية الأسبق، الرئيس السابق لحركة التوحيد والإصلاح)

د. سعد الدين العثماني: كان عَلَم الوسطية والتجديد

إن فقدان د. يوسف القرضاوي، رحمة الله عليه، خسارة كبيرة للدعوة الإسلامية ولمحبيه وتلامذته، وللأمة الإسلامية، فهو من أعلام الوسطية وخير من عرف بها وبيَّنها ودعا إليها.

كانت مؤلفاته ودروسه منارات لملايين المسلمين عبر العالم الإسلامي، نفع الله بها البلاد والعباد، فهو لم يترك مجالاً في الثقافة الإسلامية إلا وكتب فيه مؤلفات أو مقالات، أو حاضر فيه، وناهزت مؤلفاته مائة وسبعين عنواناً، طبعت باللغة العربية مرات كثيرة، وترجم أكثرها إلى اللغات الإسلامية والعالمية، وشغل الناس باجتهاداته وفتاواه ومبادراته.

اهتم كثيراً بالعلوم المنهجية، وهي علوم الأصول (أصول الفقه، وأصول الحديث بالخصوص)، واهتم بالعلوم الإيمانية فحاضر فيها، وكتب «العبادة في الإسلام»، و«الإيمان والحياة»، وفيهما من الإشارات الربانية ما يرقي وينقي، وألَّف كثيراً في ترشيد الصحوة الإسلامية

محمد الحمداوي: كانت حياته متطابقة مع مسار الصحوة

في الحقيقة، وفاة الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله تعالى، في سن حوالي 100 عام هجري، توحي بالبحث في تاريخ الصحوة الإسلامية المعاصر، وعن محطات التطابق بين حياته ومسار الصحوة الإسلامية في المائة سنة الأخيرة.

لقد انخرط منذ شبابه في الصحوة الإسلامية أيام كانت في بدايتها وتشق طريقها في مسار إثبات الذات والرد على الشبهات، ثم جاءت مرحلة صعبة فيها استهداف ومحاولة استئصال لهذه الصحوة الإسلامية، وكان من ضمن من عانوا وصمدوا وثبتوا في هذه المرحلة استعداداً لما بعدها من المراحل.

ثم جاءت مرحلة الصعود والنمو والانتشار، وكان الشيخ القرضاوي في قلب وصلب هذه الحركة، وهذه الصحوة الإسلامية التي عرفت فيما بعد السبعينيات توسعاً وانتشاراً، وتجديداً في

الفكر، وعطاء وتدافعاً في كل الميادين، ميادين الإصلاح وميادين المدافعة، وقد كتب الله للشيخ، رحمه الله، أن يكون حاضراً في أكثر من ميدان ومن مجال من مجالات التدافع الحضاري، فكان في المجال المعرفي، والأدبي، والدعوي، والشرعي، والفكري، والحركي والتنظيمي، والإعلامي، والتأليف والتوجيه والإرشاد، هذه كلها يمكن أن نلاحظ هذا المنحنى الذي عرفتها الصحوة الإسلامية منذ بداية صعودها إلى أوج عطائها، نجد أنها شكلت نوعاً من التطابق مع الشيخ القرضاوي.

وحينما وصلت الصحوة الإسلامية لأوج عطائها كان كذلك الشيخ القرضاوي في قلب هذا الأوج، واحتاجت الصحوة الإسلامية آنذاك مجهوداً للترشيد، ومجهوداً لقيادة التوجيه والإرشاد على الوسطية والاعتدال والحكمة، وكان حاضراً بمقالاته وكتاباته ومحاضراته، بتأطيره العام الذي استفاد منه أبناء الصحوة الإسلامية وجمهورها بشكل عام، وفي الوقت الذي اضطر أن تتقلص بعض عطاءاته بسبب المرض والسن، عرفت الصحوة الإسلامية نوعاً من البطء في النمو، وتراجعاً في الامتداد والتوسع والانتشار.

واليوم بعد وفاة الشيخ القرضاوي، رحمه الله، نلاحظ بشكل واضح أن الصحوة الإسلامية تعيش حالة من القلق والتوتر ومن الحوار الداخلي، ومن التلاقح والتدافع الداخلي بين الأفكار والخيارات، والبحث عن أفكار جديدة لانطلاقة جديدة.

لا شك أن البعض يطرح السؤال: من يخلف الشيخ يوسف القرضاوي كشخص؟ ولكن السؤال ربما سيكون من باب أولى حول المرتكزات والمحركات، في جولة جديدة من التدافع، تأخذ وتستفيد من منهاج وعطاءات ونموذج الشيخ القرضاوي وغيره من مشايخ الصحوة الإسلامية، ولكي تستخرج وتبلور هذه المرحلة الجديدة بمحركات جديدة وبأفكار رافعة تعطي للصحوة الإسلامية استمرارها وتبني على ما تم إنجازه في مرحة الشيخ القرضاوي، وتنطلق إلى آفاق جديدة بأفكار جديدة تضمن الاستمرارية لهذه الصحوة الإسلامية وتضمن الحضور في منحنى الترافع والتدافع الحضاري بين الأمم.■

(مفكر مغربي، برلماني سابق، رئيس سابق لحركة التوحيد والإصلاح)

ومعالجة تساؤلاتها في فترات الضيق والسعة.

وكان، رحمه الله، مهتماً بتأسيس المؤسسات العلمائية التي تفيد الأمة وترشد مسيرتها.

قد يختلف الناس مع د. القرضاوي في بعض اجتهاداته أو بعض مواقفه، لكنهم لن يختلفوا حول دوره في ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، وفي أنه كان حاضراً حضوراً فاعلاً في مختلف قضايا الأمة، اتخذ فيها مواقف وأصدر فتاوى، وترك بصمات في مجالات شتى، وبقي صامداً على العديد من الثغور إلى أن توفاه الله عن عمر يقارب المائة سنة.

رحم الله الفقيد وغفر له، وتقبل منه علمه وعمله، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.■

(قيادي إسلامي مغربي، رئيس الوزراء المغربي السابق، أمين عام حزب العدالة والتنمية سابقاً)

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

من أرشيف «المجتمع»

موضوع العلامة

حول العلاقة بين الإسلام والغرب.. المفكر الإسلامي الدكتور يوسف الق

الحوار مع الغرب ضرورة لأن الإسلام أمرا

المسلمون أقوياء الآن بثقافتهم وبأصول حضارت

نحيا لبناء حضارة عالمية إنسانية.. العلو فيها للحق.. والكلمة فيه

نموذج العلاقة مع الغرب يكون على أساس من الشرع والموازنة بين المصالح والمفاسد.. بين الدين والد

حاوره في الدوحة: حسن علي ذبا

هل ينتصر الخير على الشر؟ هل يمكن أن ينتهي الصراع الحضاري بين الحضارة الإسلامية.. وإن ضعفت.. والحضارة الغربية.. وإن بدت تملك الدهر؟

ليس ثمة ما يشير إلى تغيير في استراتيجيات الغرب تجاه الإسلام.. ورغم وضوح التنظير الغربي المعادي للإسلام، فإن الجهل المعرفي الذي يتميز به المواطن الغربي عن العالم الإسلامي يجعل مهمة الإعلام والتنظير المعادي سهلة، ليظل الوعي الغربي.. الأوروبي خاصة.. محكوما بعقدة الحروب الصليبية، ومؤخرا بدأ عدد من الباحثين الغربيين (جون اسبوزيتو) نموذجا يرصد الحقيقة ويبدو منصفا، مكذبا وجود خطر إسلامي مزعوم على الغرب.

ترى: هل يمكن أن تختفي ظلال التاريخ، وتؤثر صورة الحوار المعاصر في تصحيح صورة الإسلام في الغرب؟ هل يمكن أن يتوارى التنظير العدائي ويجهض الحوار مع الغرب أبجدياته المطروحة.

في ضوء إبحاره في مناحي الفكر الإسلامي، وفي رحال فقهه ومشاركته في ريادة جيل الصحوة الإسلامية المعاصرة في أنحاء العالم شرقه وغربه استطاع أن يحفر طريقا مميزا في الحياة الإسلامية المعاصرة هو تيار الوسطية الإسلامية التي تبلورت في عطاءاته عبر ما يزيد عن سبعين كتابا ومئات بل آلاف من الخطب والمحاضرات والندوات والمناظرات التي ألقاها في جولاته الممتدة في أنحاء العالم.

في ضوء هذا الإبحار يأتي الحوار مع العلامة المفكر الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي.. مدير مركز أبحاث السنة والسيرة بجامعة قطر.. لنتعرف رؤيته حول الحوار مع الغرب.

● **هل يمكن أن نبدأ الحوار حول «الحوار مع الغرب» بتحديد لمفهوم الغرب؟**

○ لابد أن نحدد ما هو الغرب الذي نريد أن نحاوره، فليس الغرب مجرد منطقة إقليمية، ولكن حينما نقول الغرب حضارة معينة، وثقافة معينة ذات مقومات وخصائص.

وإذا نظرنا إلى الغرب باعتباره صاحب الثقافة المهيمنة الآن، والحضارة السائدة بطابعها المادي والنفعي الذي لا يهتم بالغيبيات، ولا يقيم لحاكمية الله تعالى وزنا في الحياة، ونحن حينما نحاور الغرب نعتقد أنه حوار مع الآخر، ولا مانع أن يحاور الإنسان مخالفه، بل نحن مأمورون بهذا كما أمرنا القرآن بأن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» (العنكبوت: ٤٦)

● **هل يمكن أن يكون اختلاف المقدس عند الإسلام عن المقدس عند الغرب عائقا في قيام مثل هذا الحوار؟**

○ نحن لا نمانع من منطلق ديننا أن نحاور الآخرين مع اعتقادنا أننا مختلفون في أشياء كثيرة منها أن المقدس عندنا غير المقدس عندهم، والمنطلقات عندنا غير المنطلقات عندهم، والأهداف عندنا غير الأهداف عندهم، والوسائل والمناهج عندنا غير الوسائل والمناهج عندهم. رغم هذا فنحن مأمورون أن نحاور هؤلاء ونجادلهم بالتي هي أحسن

ومن يقرأ القرآن الكريم في الحقيقة يجده كتاب حوار في الدرجة الأولى. الأنبياء حاوروا أقوامهم، حوارات سجلها القرآن، بل أعجب من هذا حوار الله مع خلقه، تجد القرآن قد ذكر لنا أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخلق آدم قال للملائكة «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون» (البقرة: ٣٠)

بل أعجب من هذا حوار الله مع أعدى أعدائه إبليس، كيف أذن الله لإبليس أن يحاوره «قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لمن خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين. قال

كانت «المجتمع» قد حاورت الإمام د. يوسف القرضاوي، يرحمه الله تعالى، في حوار شامل تناول فيه العلاقة بين الإسلام والغرب، موضحاً الضوابط التي يجب مراعاتها في التعامل معهم، وقد نشرت «المجتمع» الحوار في العدد (1171) بتاريخ 22 جمادى الأولى 1416هـ/ 17 أكتوبر 1995م، ونعيد نشره في هذا العدد الخاص الذي يتناول حياة الإمام القرضاوي وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين.

رضاوي لـ« المجتمع »:

ا بالحوار مع الآخرين

هم وبرسالتهم العظيمة

اللإيمان.. والنصر فيها للخير

ا.. بين الثوابت والمتغيرات.. بين التراث والمعاصرة

رب فانظرني إلى يوم يبعثون. قال إنك من المنظرين....» (سورة ص: ٧٥ ـ ٨٠).

فهذا يدلنا على أن للحوار مجالا رحبا ومكانا واسعا في الفكر الإسلامي وفي الساحة الإسلامية بدءاً من القرآن الكريم، فالسنة النبوية، فالتراث الإسلامي المليء بهذه الألوان من الحوارات المختلفة.

اختلاف الموقف الحضاري

● **ألا ترون أن هناك فرقا بين الوضع الحضاري الحالي والوضع الحضاري الماضي عندما كان المسلمون قوة، وكانت لهم حضارة؟ أما اليوم فهم الأضعف: كيف يكون الحوار؟**

○ المسلمون في الماضي كانت لهم حضارة، وكانوا أصحاب الحضارة الأولى في العالم، وكانوا هم العالم الأول، هم الآن العالم الثالث ـ كما يقال ـ وربما ينسب بعضهم إلى العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع!! ولكن المسلمين أقوياء بثقافتهم، بأصول حضارتهم، برسالتهم العظيمة التي أكرمهم الله تعالى بها، برسالة الإسلام، هم أقوياء بهذه الرسالة، فهم يملكون ما لا يملك العالم كله، يملكون الرسالة العامة الخالدة التي تحمل كلمات الله الأخيرة للبشرية، فلا يوجد دين يملك وثيقة سماوية سالمة من التحريف والتبديل اللفظي والمعنوي إلا المسلمون، فهم وحدهم الذين يملكون القرآن.

● **هل يعني الحوار تخفيف صرامة الموقف الفكري الإسلامي والعقائدي لتقريب الآخرين إلى الإسلام؟**

○ لو التزمنا بأدب الحوار كما شرعه الإسلام، لأدى ذلك من غير شك إلى التقارب مع الآخرين. فالإسلام يأمرنا في هذه الآية التي وضعت أصول الدعوة والحوار أن ندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل بالتي هي أحسن. ونجد هنا فرقا في التعبير: اكتفت الدعوة بالأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكنها عند الجدال لم تكتف بالجدال الحسن وإنما أمرت بالجدال بالتي هي أحسن. لماذا؟ لأن الموعظة تكون مع الموافق، فالموافق يكفي أن تعظه موعظة حسنة، ترقق قلبه، وتحرك ساكنه، وتُرغّبه في الخير، وترهبه من الشر، يكفي أن تكون الموعظة حسنة. ولكن الجدال يكون مع المخالف، والمخالف لا يكفي أن تجادله جدالا حسنا، وإنما أن تبذل جهدا في أن يكون جدالك بالتي هي أحسن. أن تحاوره بأحسن الطرق، وأرق الأساليب، وألطف العبارات، حيث لو كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها، فلابد أن تستخدم الطريقة التي هي أحسن وأجود. فهذا هو الذي أمر به الإسلام.

ولذلك نجد القرآن وهو يعلمنا الحوار مع الآخرين «قل من يرزقكم من السماء والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (سبأ: ٢٤)، مع أنه متأكد أنه على هدى وأن غيره على الضلال، ولكن يريد أن يُقرّب هؤلاء من ساحته، يقول: أحد الفريقين منا لابد أن يكون مخطئا والآخر على صواب، فلابد أن نبحث من المخطئ ومن المصيب، من المهتدي ومن الضال منا ومنكم، ثم يقول: «قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون» كان من الممكن أن يقول: «لا تُسألون عما عملنا، ولا نُسأل عما تعلمون»، أو يقول: «لا تُسألون عما أجرمنا، ولا نُسأل عما تُجرمون» المقابلة تقتضي هذا، لكن نسب إلى نفسه ومن معه هذا «لا تُسألون عما أجرمنا».

إن كنا نحن أجرمنا فأنتم لا تُسألون عن إجرامنا.

نحن أصحاب الحق ومنطقنا أقوى من منطق الآخرين

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

موضوع الغلاف

ولكنه لم يقل «ولا تُسأل عما تُجرمون» حتى لا ينسب إليهم الإجرام، ولكن «لا تُسأل عما تعملون». كل هذا نوع من التخفيف والتقريب وإزالة كل ما يوغر الصدر ويباعد الشقة بين الطرفين. فهذا هو ما جاء به الحوار بالتي هي أحسن.

لا تنازل عن أساسيات

● **هل يقتضي نجاح الحوار بين فريقين مختلفين أن يتنازل كل منهما عن شيء ويتمسك بأشياء؟ أم أن الحوار يكون بحثا عن نقاط تقارب أكثر من تقديم تنازل؟**

○ هناك أشياء لايمكن التنازل عنها، فنحن نحاول أن نذكر مواضع الاتفاق. ولكن ليس معنى هذا أن أتنازل عن أي شيء أساسي عندي. حينما أراد الكفار من مشركي قريش أن يفاوضوا النبي ﷺ على أن يتنازل عن عبادة الله مدة من الزمن، يعبد الهتهم مدة، ويعبدوا إلهه مدة من الزمن، ويحاولون أن يقترب الفريقان بعضهم من بعض، لكن رفض هذا، وجاءت السورة الفاصلة الحاسمة «قل يا أيها الكافرون» ولأول مرة يُخاطب المشركون بهذه اللفظة «يا أيها الكافرون». فالقرآن عادة حينما يخاطب المشركين يقول «يا أيها الناس». وأما اليهود والنصارى فيقول «يا أهل الكتاب». أو «الذين أوتوا الكتاب». وهذا أيضاً من الحوار بالتي هي أحسن: أنك تختار أرق الألفاظ وأقربها إلى قلب مُخاطبك. إنما هنا قال: «يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين» (الكافرون ١ ـ ٦). بهذا التكرار، وبهذا التأكيد هناك أشياء تحتاج إلى حسم، لايمكن أن يتنازل الإسلام عن عقائده وعن قيمه وعن فرائضه، وعن أخلاقياته. التنازل غير وارد بالمرة. ومع هذا «لكم دينكم ولي دين».

الأساسيات المحكمات: محل اتفاق إسلامي

● **ما هي الأمور التي تعني الأساسيات في نظركم، والتي لايمكن التنازل عنها في الحوار مع الغرب؟ فلا يخفى ما بين المسلمين أنفسهم من اختلافات، هل تكون الأساسيات محل اختلاف أصلا؟**

○ هناك أشياء يمكن أن يختلف فيها الناس بعضهم من بعض. فعندما نريد أن نحاور الآخرين لابد أن تتضح لنا الصورة الإسلامية الحقيقية التي تدل عليها المحكمات من النصوص القواطع. يجب أن نفرق بين ما هو قطعي، وما هو ظني. الأشياء التي نستمسك بها ونقاتل دونها ولا نُفرط في ذرة منها هي القطعيات. أما الظنيات والاجتهاديات وما فيه القيل والقال، وما يمكن أن يخضع لاختلاف التفسيرات واختلاف الأفهام، وتعدد الاجتهادات.. هذا لا ينبغي أن نضعه في مقدمة الحوار بيننا وبين الآخرين.

فمسألة الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الأرض والعرض والحرمات.. هذا أمر لا كلام فيه.. إنما الدفاع للهجوم على العالم كما يصوره بعض الناس، هذا أمر ليس وارداً، ونحن هنا نتبنى ما تبناه علماء المسلمين المعاصرين الشيخ رشيد رضا، والشيخ شلتوت، والشيخ عبدالله دراز، والشيخ أبو زهرة، والشيخ الغزالي، وهؤلاء كلهم يتبنون أن الجهاد في الإسلام للدفاع عن الدين والدولة والحرمات والأرض والعِرض.. وليس لغزو العالم كما يصوره بعض الناس.

الإسلام يحترم الثقافات المتعددة من خلال احترامه لوجود أهل الكتاب

كيف تكون الثقافة العالمية قاسما مشتركا؟

● **تُطرح في سياق بحث العلاقة بين الإسلام والغرب فكرة الثقافة العالمية، لتكون قاسما مشتركا في الحوار بينهما، وتعني الثقافة العالمية الثقافة الكونية التي تتشكل من خصائص إنسانية تستوعب كل الثقافات الشرقية والغربية، وتحيي الضمير الفردي، وتحافظ على مصالح المجتمع في الوقت نفسه... هل ترون إمكانية وجود هذه الثقافة العالمية قاسما مشتركا للحوار؟**

○ هذا وصف للثقافة الإسلامية في الحقيقة، فالثقافة التي تحمل هذه الخصائص هي الثقافة الإسلامية، ولكن حسب ما هو قائم وما هو واقع لا توجد ثقافة كونية أو ثقافة عالمية.. بعض الناس يريدون أن يجعلوا من الثقافة الغربية المسيطرة ثقافة عالمية، وهذا ليس بصحيح، هي ثقافة عالمية بمعنى أنها منتشرة في العالم، وسائدة ومسيطرة على الأفكار، ومسيطرة على الإعلام، وعلى أدوات التثقيف في العالم. هذا صحيح، إنما ليست هي الثقافة العالمية.. هناك ثقافات مخالفة لها في الشرق وفي الغرب، هناك الثقافة اليابانية أو الثقافة الصينية، والثقافة الهندية، والثقافة الإسلامية، والثقافات الإفريقية.

فمن أجل هذا ليست هناك ثقافة عالمية كونية، إلا إذا أريد أن تكون هناك ثقافة مفروضة على الجميع، نحن ننطلق من تعدد الثقافات، نحن وإن كنا نرى أن ثقافتنا هي التي يمكن أن تحقق ما ذكرته في سؤالك «الثقافة التي تنظر إلى الإنسان وتحيي ضمير الفرد، وتحمي مصالح المجتمع، وتصل الأرض بالسماء، وتحقق القيم الروحية والقيم المادية» هي الثقافة الإسلامية.. ونحن مع هذا لم نفرض ثقافتنا بالإكراه على العالم، حينما كانت ثقافتنا هي السائدة، وحضارتنا هي القائدة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية وسعنا الثقافات الأخريات، لم يفرض الإسلام ثقافته على الناس، وإنما ترك الآخرين وأديانهم، لم يفرض عليهم العقائد الإسلامية، ولا العبادات الإسلامية، ولا الفرائض الإسلامية، ولا المحرمات الإسلامية، ما فرض على الناس الزكاة. لماذا؟ لأن الزكاة وإن كانت ضريبة مالية، ولكنها عبادة دينية، ركن من أركان الإسلام، فلم يشأ أن يفرض على أهل الذمة الذين هم كما يقول الفقهاء، من أهل دار الإسلام، يعني يحملون الجنسية الإسلامية أو المواطنة في الدولة الإسلامية، لم يفرض عليهم هذه لأنه سيفرض عليهم عبادة، فهذا ينافي السماحة الإسلامية، من

أجل هذا لم يفرض عليهم الزكاة، ولم يفرض عليهم الجهاد. والجهاد دفاع عن الأرض والدار والدين والدولة، ولكن الجهاد أيضا - وإن كان دفاعا - فهو فريضة دينية، بل هو من أعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه، ومن أجل هذا فرض شيئا بديلا عن الزكاة من ناحية، وبديلا عن الجهاد من ناحية، وهو ما سمي الجزية، وما هي الجزية الجزية: هي مال يدفعه أهل الذمة بدلا من الزكاة التي يدفعها المسلم، وبدلا من الجهاد، فهذا يدفعه من ماله، وذاك يدفعه من دمه، قال له: ادفع شيئا حتى تكون عضوا في الدولة الإسلامية، وتتمتع بحمايتها ويكون لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم.

فالإسلام يحترم الثقافات المتعددة، لأنه مادامت هناك أديان متعددة فلابد أن تكون هناك ثقافات معبرة عن هذه الديانات ولعقائدها، والقيم التي جاءت بها، والعبادات والفرائض التي نادت ودعت إليها فهذا فرع عن ذاك.

الحوار: فريضة وضرورة

● في كتابكم «أولويات الحركة الإسلامية» ذكرتم أن الحوار مع الغرب فريضة وضرورة، وقلتم: إنه حوار على الصعيد الديني، وعلى الصعيد الفكري، وعلى الصعيد السياسي.. ماذا تعنون بكل ذلك؟

○ لقد ذكرت في هذا الكتاب أننا نعيش في عالم تقارب بعضه مع بعض، حتى قال أحد الأدباء: (إن العالم أصبح قرية واحدة، نسميه «قريتنا الكبرى»)، هو لم يعد قرية كبرى، بل أصبح قرية صغيرة الآن، لأن ما يحدث في أقصى العالم تعلم به بعد لحظات في الطرف الآخر. فتقارب العالم جدا، ولذلك لايمكن أن ينعزل فيه بعض الناس عن الآخرين، إذا كنا نريد أن نعيش بإسلامنا، فلابد أن نتحاور مع الآخرين لنزيح الغشاوة التي غشيت على عقول القوم، نزيح ما على أبصارهم من غشاوة، وما على قلوبهم من طبع، والشبهات التي استقرت في أذهانهم طوال عصور مضت، هناك من عهد الصليبية أشياء توارثها القوم عن الإسلام، وعن القرآن، وعن محمد ﷺ، وعن الحضارة الإسلامية، وعن الشريعة الإسلامية، وأشياء مغلوطة ومكذوبة، ولابد أن نبذل جهدا في أن نلتقي مع هؤلاء القوم، ونتقارب معهم، ونبين لهم أن المسلمين ليسوا وحوشا، والإسلام ليس غولا مفترسا، ودعاة الإسلام ليسوا إرهابيين كما تصورونهم، هذا لايمكن أن يتم في عزلة عن هذا العالم، ومحادثة لهؤلاء القوم، وإنما ينبغي أن يكون بالتواصل معهم، وبالحوار معهم.

تجربة مع المستشرقين

● هل ترون أن الحوار مع رجال الدين في الغرب يمكن أن يؤتي ثماره؟

○ لقد لقيتهم منذ ثلاث سنوات تقريبا، وكنت أنا وفضيلة الشيخ محمد الغزالي في زيارة إلى ألمانيا، والتقينا بالفعل مع عدد من المستشرقين، ومنهم بعض القسس، والتقينا يوما كاملا، لقاء حوار، ووجدت - حسب ما لمست، ولمس فضيلة الشيخ الغزالي معي أيضا - أن هذا اللقاء كان له ثمرته. أن كثيرا من الشبهات زالت من الأذهان، اللقاء المباشر له فائدته. أسئلة وأجوبة.. فأعتقد أن هناك أناسا يمكن أن يجدي الحوار معهم، وهناك أناس لاشك متعصبون لايمكن أن يجدي معهم حوار، هؤلاء كالذين قال الله فيهم: «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا» (الإسراء: ٤٥ - ٤٦) هذا الصنف موجود، لكن هناك صنفا آخر، هم المنصفون، ونحن

■ أحد المؤتمرات التي عقدت في واشنطن للحوار بين الإسلام والغرب

نبحث عن هؤلاء المنصفين المتقبلين الذي يُحكّمون المنطق، ونحن رأينا من الغربيين كثيرين أنصفوا المسلمين وأنصفوا الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، وأنصفوا الصحوة الإسلامية المعاصرة، ونحن نقرأ في الصحف الآن لصحفيين وكتاب من أهل الغرب يتكلمون كلاما جيدا عن الإسلام، فهذا الكاتب الأمريكي الذي كتب عن أن الخطر الإسلامي وهمٌ وليس حقيقة «جون اسبوزيتو» كما أن كثيرا من الكتّاب الآن يعترف بفضل الإسلام، وسبق الحضارة الإسلامية، ويعترف للصحوة الإسلامية بأن إيجابياتها أكثر من سلبياتها.

فأنا أعتقد أن الحوار مهم على المستوى الديني مع القسس ورجال الدين، والمستوى الفكري مع المستشرقين والكتّاب الذين يهتمون بأمر الإسلام أمر مطلوب.

المفهوم الغربي للإنسان والحجاب

● انتقل إلى نقطة هامة وهي رفض الغرب للاعتراف بحقوق المواطنة بالنسبة للمسلم ومثال ذلك ما يحدث للمسلمين في فرنسا، وخاصة النساء المسلمات ورفض الغرب الفرنسي لحجاب المرأة المسلمة؟

○ الإنسان هناك لا يُكرّم، ولا يُعطى الحرية من حيث هو إنسان، وإنما يحصل عليها الإنسان المنتمي مع هذا المجتمع، ومع دينه ومع ثقافته السائدة، فإذا خرج إنسان على السائد... حتى الفرنسي الأصيل إذا أسلم لم يعد له حق، ولم يُعط حقه في أن ابنته أو زوجته تلبس هذا الحجاب أو تدخل المدرسة، بل يُفرض عليه أن تنزع زوجته الحجاب، أين كرامة الإنسان وأين حريته؟ لم يعد هناك حرية للإنسان من حيث هو.. إذا كنت تحترم الإنسان من حيث هو فلابد أن تحترم عقيدته، وثقافته، والقيم التي يؤمن بها، فهو يؤمن بأن الحجاب فرض، وأنه لا يجوز له دينياً أن تخلع امرأته الحجاب، والفتاة أو المرأة تقول لا يجوز لحلمه، فهذا حرام عليّ. أدخل من أجله النار. كيف تفرض على إنسانة النار وتغضب ربها؟ أية ثقافة هذه؟ وأية حرية؟ وأية كرامة للإنسان إذا كان لا يستطيع أن يمارس عقيدته وشعائره وواجباته الدينية، تحت سلطان هذه الثقافة، وتلك الحرية؟

> الحجاب ليس رمزاً دينياً مثل الصليب والقلنسوة لكنه فرض وله وظيفة هي الستر

هل مصادرة الحلال والحرام رفض للحوار؟

● هل تعد مصادرة كتابكم «الحلال والحرام في الإسلام» - رغم تراجع فرنسا عن تلك المصادرة ثم إلغائها بعد ذلك - رفضا من الغرب - ممثلا في فرنسا - للحوار مع الإسلام؟

وداعاً.. الإمام المجدّد
د. يوسف القرضاوي

○ هذا جزء - كما قلت في تلك الأيام - من الحملة المعادية للإسلام في تلك البلاد، وخصوصا إذا عرفنا أن بداية هذا الأمر جاء في الثاني عشر من اكتوبر الماضي، بعد المؤتمر الذي حضرته في فرنسا، وكان عن الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وكان له أثر جيد، ولكن من المسائل الساخنة التي أثيرت فيه: مسألة الحجاب، وناقشت الحاضرين من الفرنسيين مناقشة لم يجدوا أمامها جوابا، إنهم قالوا: إن هذا الحجاب رمز ديني، وقلت لهم: إنه ليس رمزًا دينيا، لأن الرمز ليس له وظيفة يؤديها غير الإعلان والشعار، وذلك مثل الصليب على رمز المسيحي، أو الفلنسوة على رأس اليهودي، هذه فعلا رموز دينية، ليس لها وظيفة معينة، سوى أنها إعلان بأن هذا يهودي، أو إعلان بأن هذا مسيحي، ولكن الحجاب هذا له وظيفة، وهي أنه يؤدي وظيفة الستر، والاحتشام، فالمسلمة مأمورة أن تحتشم، تغطي شعرها، ونحرها وعنقها، هذا هو معنى الحجاب، فله وظيفة الستر والاحتشام، وحتى لو فُرِض أنه رمز، أنتم لم تمنعوا المسيحي أن يضع الصليب على صدره، ولم تمنعوا اليهودي أن يضع الطاقية على رأسه، فلماذا تمنعون المسلم؟ بل أنتم سمحتم للسيخي أن يلبس عمامة السيخ، ويأخذ ترخيصا بقيادة الدراجة البخارية، دون أن يلبس غطاء الرأس الحديدي (الخوذة) من أجل عمامته السيخية هذه.

وهذا كله من رواسب الحروب الصليبية، ورواسب العُقد القديمة.

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب

● هل ترون أن هناك مستقبلا للعلاقة بين الإسلام والغرب في العصر الحاضر؟

○ أعتقد أن هذه العلاقة يمكن أن تتطور وتتحسن وتأخذ دورا إيجابيا، إذا وثق المسلمون بأنفسهم، واستمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهي عروة الإسلام العظيم ووقفوا أمة واحدة لها رسالتها الحضارية والإنسانية والدينية، ولها ماضيها وتراثها، ولها مستقبلها المرجو أيضا إن شاء الله.

وإذا استطاع الغرب أيضا أن يفهم المسلمين ويفهم هذه الأمة، ويعي أن ليس هناك أمة تستطيع أن تفرض نفسها على العالم وأن تعيش وحدها، ولاحق للآخرين في الحياة، بل لابد للناس أن يعيشوا وفق ما يريدون، والأمة الإسلامية أمة عريقة وأمة كبيرة وأمة ذات رسالة، ومن حق هذه الأمة أن تعيش لرسالتها، وأن تعيش وفق عقيدتها، ما الذي يضر الغربيين أن يعيش المسلمون مسلمين كما أمرهم الله، وكما فرض عليهم دينهم يحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله، ويؤدون ما فرض الله، ويحكّمون ما شرع الله، ما الذي يضر الغربيين من هذا؟ أيهما أولى للإنسان الغربي: المسلم المتمسك بدينه الذي يراقب الله في الصغيرة والكبيرة، ويؤدي واجبه ويحكم بالعدل مع من يحب ومن يكره، «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا» (المائدة ٨)، متسامحا مع غيره كما أمره الإسلام، وكما كان شأن المسلمين في عصور الازدهار الحضاري.

ما الذي يضر الغربيين؟ الإنسان المسلم المتعبد لربه، الملتزم بأخلاقيات هذا الدين في سلوكه مع ربه، وسلوكه مع نفسه، وسلوكه مع أسرته، وسلوكه مع المؤمنين من أمثاله، وسلوكه مع الآخرين ممن يخالفونه في العقيدة: هل هذا النموذج أولى أم نموذج الإنسان الذي لا دين له، الذي يعيش عاريا من الدين؟ لا عقيدة تستره، ولا شريعة تحكمه، ولا أخلاق تقوده، ولا قيم تسيطر عليه وتوجه مسيرته.

حاورت مع المسيح العراقي مستشرقين ورجال دين في الغرب.. وقد زال هذا الحوار كثيرا من الشبهات لديهم

اعتقد أنه من الخير للغربيين أن يتعاملوا مع أمة تحترم دينها وعقائدها، وتعيش بها وتعيش لها، تعمل بدينها، وتعمل لدينها، ويتعاملوا مع هذه الأمة معاملة الند للند.

ولابد للغربيين أن يتخلصوا من العقد القديمة التي ورثوها من أيام الحروب الصليبية من هذه الأحقاد السوداء.

إذا سادت هذه النظرة، أعتقد أنه يمكن أن يثمر الحوار، ويمكن أن يثمر ذلك علاقة طيبة وحسنة.

نقول للغربيين دعونا نعيش بديننا، ونعيش وفق عقائدنا، وشرائعنا وقيمنا، نعطي ونؤدي الواجب، ونأخذ الحق ولا نظلم أحدا، ولا نجور على أحد.

أهمية الحوار داخل الأمة

● قبل أن أنتهي من أسئلتي مع فضيلة الدكتور القرضاوي.. سألته عن أهمية الحوار الداخلي بين أبناء الأمة، وخاصة مع أولئك الذين يتبنون الفكر الغربي أو العلمانيين؟

○ قال: أنا أدعو إلى الحوار مع هؤلاء، فالحوار القومي، فنحن رحبنا بالحوار مع القوميين، وفي أكتوبر من السنة الماضية (١٩٩٤م)، حضرت مؤتمرا، شاركت في مؤتمر الحوار القومي الإسلامي الذي عقد في بيروت، وكنت أحد الذين شاركوا في إعداد الورقة الإسلامية. لا مانع أن نلتقي على المنهج الوسط دون التنازل عن أساسياتنا أيضا.

بل إنني أدعو في كتابي الذي ذكرته «أولويات الحركة الإسلامية» إلى الحوار مع عقلاء العلمانيين، لأن بعض هؤلاء العلمانيين لا يعادون الإسلام، إنما ينطلقون من عدم فهم الإسلام، لامانع أن نحاور هؤلاء لنقربهم منا، فمبدأ الحوار مبدأ مسلّم به، ولا حرج فيه مع المخالفين، مادام عندهم استعداد للإنصاف وللاستماع، وللأخذ والعطاء في هذه النواحي.

● لكن بعض العلمانيين يرمي إلى إزاحة الدين تماما عن الحياة، فكيف يكون الحوار بينه وبين الإسلاميين؟

○ أنا لم أقل بالحوار مع كل العلمانيين، بل مع العقلاء والمنصفين من العلمانيين، هناك - كما قلت - علمانيون لا يعادون الدين، بعض الناس علماني كما كان على سبيل المثال النحاس باشا - رئيس حزب الوفد المصري قبل ثورة ١٩٥٢م - رجل مصلٍ وصائم، وعنده نوع من التدين، ولكنه لم يفهم شمول الإسلام، لم يحط بالرسالة الإسلامية كما ينبغي. ولعله لو وجد فرصة تعرض عليه الإسلام الحقيقي كما نزل به القرآن، وكما دعا إليه محمد ﷺ، وكما فهمه الصحابة، وكما طبقه الراشدون، وكما قامت عليه الحضارة الإسلامية الأولى. لعله لو وجد من يعرض عليه هذا، ويشرحه حق الشرح، ويصوره التصوير الذي ينبغي لعله تراجع عن كثير من آرائه، إنما العلماني الفج الذي يرفض الدين عامة والإسلام خاصة ولا يرى أن الدين ينبغي أن يخرج من ضمير الإنسان، والدين في رأيه علاقة بين ضمير الإنسان وربه، وإن كان لابد أن يخرج فليكن إلى المعبد (المسجد أو الكنيسة) فقط، وليس له علاقة بالحياة، ولذلك يرفض الشرائع والقيم والأحكام التي جاءت بها الأديان، هذا لا معنى للحوار معه، لكن يمكن أن أحاوره لأقيم عليه الحجة، كما فعلنا نحن حينما حاورنا بعض العلمانيين ■

لابد للغربيين أن يتخلصوا من العقد القديمة التي ورثوها من الحروب الصليبية

المجتمع
AL-MUJTAMA'A
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
وقفات مع مؤتمر سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء
العلامة الدكتور يوسف القرضاوي لـ «المجتمع»:
الحوار مع الغرب فريضة وضرورة
الدكتور فتحي يكن يكتب عن: فقه القوة والعنف والإرهاب

رئيس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي في حوار مع «المجتمع»:

انقلاب سعيّد خطوة متقدمة لاستعادة الحكم الاستبدادي.. وهكذا نواجهه

أكد رئيس البرلمان التونسي زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي، أن انقلاب الرئيس قيس سعيد خطوة متقدمة تتوج المحاولات المتكررة للمنظومة القديمة لاستعادة الحكم الاستبدادي.

وأشار الغنوشي، في حوار مع «المجتمع»، إلى أنه ليس لسعيّد ما يمسكه في الحكم بعد أن فقَدَ كل أسس شرعيته التي جاءت به لحكم قرطاج، كما تطرق الحوار لعدد من القضايا المتعلقة بمقاومة الانقلاب ودور حركة «النهضة» في هذا المجال.

تونس- خاص بـ«المجتمع»:

الانقلاب استعاد كل عوامل الفشل وأصبحت البلاد تعاني من كارثة لا أفق لها إلا الفوضى

مقاومة سعيد للفساد لم تتجاوز الشعارات بينما تورطت منظومته في عودة أباطرته

سعيد فقَدَ أسس شرعيته التي جاءت به للحكم منذ انقلابه على الديمقراطية.. والاستفتاء خير دليل

• بعد أكثر من عام على الانقلاب، وما سمي بالاستشارة الإلكترونية، والاستفتاء المثير للجدل، ما تقييمك للوضع الحالي في تونس؛ على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي؟

– عانت تونس وشعبها من أزمات متعاقبة لعقود، أدى تراكمها للانقلاب الأول على الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة من قبل زين العابدين بن علي الذي جاء انقلابه بوعود لم يلبث أن نكثها؛ ما أدخل البلاد في عشريتين من الاستبداد، زادت من تأزيم الوضع، وأضاعت ثروات البلاد، وعمقت الفساد والظلم؛ ما أدى إلى تفكك أواصر الدولة والمجتمع، وثورة الشعب التونسي على حاكميه ودخول تونس في عشرية الثورة والإصلاح والانتقال الديمقراطي، والحرية التي تنفستها تونس بعد أن حرمت منها لأكثر من مائة سنة.

وقد جاء انقلاب قيس سعيّد كخطوة متقدمة تتوج المحاولات المتكررة للمنظومة القديمة لاستعادة الحكم الاستبدادي التي لم تتوقف منذ تخلصها من عرابها الرئيس الراحل المخلوع بن علي، ثم مساعي الانقلاب على أول حكومة منتخبة من البرلمان من خلال العمليات الإرهابية، ثم فشلها في محاولة تهديم وإيقاف مسار التوافق بعد انتخابات عام 2014م من خلال الهجمات الإرهابية المتكررة، ومن خلال محاولة مسرحة أحداث الثورة بمحاولة افتعال احتجاجات اجتماعية وفشلها المتكرر في إقناع الشعب التونسي.

واليوم وبعد مرور سنة على انقلاب سعيد، يتكرر فشل منظومة الاستبداد والفساد، لكن بشكل متسارع وبنوع من التداعي الحر نحو الفوضى والخراب؛ إذ بينما نجحت ثورة الشعب التونسي من خلال المسار الديمقراطي في التخفيف

من سرعة تداعي الأزمة مع العمل على فتح أفق للتغيير والإصلاح، فإن انقلاب سعيّد استعاد كل عوامل الفشل وقام بتسريع مفاعيلها، ولذلك فإنه يصح القول: إن تونس بعد أن كانت تعاني من أزمة لها أفق للخروج منها، فإنها اليوم تعاني من كارثة لا أفق لها إلا الانهيار والفوضى وتحويلها لدولة فاشلة.

ولهذا الفشل مظاهر صارخة؛ من أولها فشل سعيّد في مقاومة الفساد والمحسوبية إذ لم تمض إلا أشهر قليلة على الانقلاب حتى ظهرت على محيطه كل علامات الفساد التي احتاجت لسنوات في مرحلة بن علي كي تبرز، وانظر الشهادات التي قدمها القضاة عن دور أعضاء من أسرة الرئيس والمقربين منهم في الحياة السياسية، وانظر الحديث عن ولاة الرئيس ووزرائه، إذ بسرعة لجأت منظومة الاستبداد لتقديم امتيازات للمنتفعين من دولة المخلوع، وتمييزهم عمن فتحت لهم الثورة فرصة للاستثمار والعمل في إطار القانون.

ولذلك يمكن القول، ودون مبالغة: إن سعيّداً لم تتجاوز مقاومته للفساد الشعارات المبهمة، بينما تورطت منظومته مباشرة في تبييض الفساد وفسح المجال لعودة أباطرته.

كما فشل سعيّد في تحسين الوضع الاقتصادي، إذ فشلت حكومته الثالثة

ليس مطلوباً من أي شعب أن يعرِّض حياته للخطر وعلينا أن نبذل جهدنا في حفظ الدماء

ما زلنا على نهجنا في المقاومة السلمية والمدنية ونقترب في ذلك من أوسع طائفة من مقاومي الانقلاب

عن زحزحة الأزمة الاقتصادية وآثارها الاجتماعية، وقد أدت سياساته لتحويل أزمة الاقتصاد لكارثة لم يعرفها الشعب التونسي منذ الحرب العالمية الثانية، إذ زاد تدهور قيمة الدينار التونسي، واختفت المواد الأساسية من الأسواق مع ارتفاع وتضاعف أسعارها، والوضع مؤهّل لمزيد من التدهور، وللأسف فإن الطرف الوحيد الذي سيدفع ثمن ذلك هو المواطن والفئات، لا أقول الضعيفة فقط، بل كل الفئات المجتمعية باستثناء منظومة الفساد التي لا يمسها ضنك في ظل حماية المستبد لها واستعدادها لتقديم كل الخدمات المدفوعة الثمن له.

● كيف استطاع الانقلاب أن يستمر أكثر من عام؟ من يدعم الرئيس من الداخل والخارج؟ وهل هناك أدلة ملموسة على هذا الدعم؟

– الأكيد أن لسعيّد داعمين، فلا يمكن لأي طرف أن يحكم ويستمر في الحكم إن لم يكن له من يدعمه، وأقل شيء في المشهد التونسي أن هناك إلى اليوم دبابة أمنية وأخرى عسكرية تحجزان باب البرلمان، إذ ليس لسعيّد ما يمسكه في الحكم؛ فهو فقَدَ كل أسس شرعيته التي جاءت به لحكم قرطاج منذ انقلابه على الديمقراطية، وقد مثل الاستفتاء في الحقيقة الإعلان الأخير عن عزلة سعيّد عن الشعب التونسي وانحسار شعبيته في جزء من بيروقراطية الدولة وأدواتها الإكراهية، بينما كان يمثل أكثر رئيس يتمتع بقاعدة شعبية وصل للرئاسة بفضل انتخابات حرة وديمقراطية، وبدستور لم يصبر أن انقلب عليه بعد أن أقسم على القرآن أن يحترمه.

ومن جهة أخرى، فإن هناك حديثاً عن تلقي سعيّد دعماً من بعض دول الجوار الإقليمي، ونحن لا نفهم عداء هذه الدول الشقيقة للديمقراطية التونسية، خلاف ذلك لا نعلم مسانداً له؛ فأغلب الدول تعارض سياسته ومنهجه ولا ترى له مستقبلاً، ولا أرى أنه باق إلا بسبب كثرة الاضطرابات التي يعرفها العالم والخشية من ضرب الاستقرار الذي أصبح أولوية، وكذلك بسبب ضعف جزء

معتبر من معارضته وتغليبها انقساماتها الداخلية عن الاهتمام بالمصلحة الوطنية وأولوية العودة للديمقراطية والتخلي عن نهجه الإقصائي وشيطنة خصومها.

● البعض يتساءل: لماذا استسلم الشعب التونسي لرجل مدني تحول لدكتاتور، وشعوب «الربيع العربي» بعضها سالت فيها الدماء أنهاراً، وأخرى ما زالت تقاوم؟

– ليس مطلوباً من أي شعب أن يعرِّض حياته للخطر، وعلينا أن نبذل جهدنا في حفظ الدماء والأعراض، فذلك من مقاصد ديننا الحنيف العليا، وإن واجبنا كحركة تنهل من الإسلام فهماً ومنهجاً في التعامل مع الفضاء العام وفي وضع سياساتها أن نرعى القيم العليا في شعوبنا وفي أبنائنا وفي مناضلينا ومنها حرمة الدماء، وقد أمر الله تعالى بحفظ دين الناس من أن يفتنوا، وأن نحفظ دماءهم وحياتهم، وقد ربط الله سبحانه بين العدل وإحياء الأنفس وحفظ حياتها، كما ربط بين الظلم والإسراف وقتل الناس.

إن الباطل والظلم لا شك زائلان وعاجزان عن الحياة، وهذه بلادنا بلاد الإسلام أرض مباركة ليس للظلم والفساد فيها جذور؛ ولذلك فليس له فيها مستقبل، ولكن بعض الناس يستعجلون، وإننا وقد انقلب علينا الظالم المستبد فانسحبنا من أمام جبروته جنّبنا مؤسسات الدولة الدماء؛ لأن منتسبيها هم أبناء شعبنا ويجب ألا يتورطوا في دماء إخوانهم في الوطن، كما جنبنا بقية أفراد الشعب من التقاتل الأهلي، ونحن اليوم بعد سنة من الانقلاب أصبحنا في محضن الشعب بعد أن كنا متهمين بين الناس ومعزولين، بينما سعيّد اليوم في عزلة عن الشعب الذي صفق له منذ سنة، ولو ذهبنا في مذهب غير ذلك ما كان ممكناً تحقيق مثل هذا الإنجاز إلا ربما بعد سنوات

بعض النخب تعيش في غربة عن المجتمع لأنها أسيرة عدائها لـ«النهضة» وحقها بالمشاركة العامة

عديدة أو عقود، فالطريق الأسلم أجدى وثماره تأتي ولو بعد حين.

● هل ما زال الشعب يقاوم الانقلاب على الديمقراطية؟ وما الوسائل التي يستخدمها؟

– وأي مقاومة أعظم من أن يفشل سعيد في تجيير إرادة الشعب التونسي لمناصره في سياساته وبرنامجه؛ فهو لم يحصل في استفتائه على الغالب حتى على عُشر أصوات التونسيين برغم إكراهه للناس على الخروج والمشاركة تهديداً لهم في رزقهم ومعاشهم، وحتى لو صدقنا البهتان الذي أعلن عن عدد المشاركين بقرابة 30%، فإن ذلك لا يعطي لسعيد شرعية ولا تفويضاً لمشروعه؛ فالتزوير كان واضحاً، ولم تنقل صورة الطابور الانتخابي من أي مركز اقتراع؛ ولذلك فالشعب يقاوم ولا شك، ودورنا أن نكون في مستوى هذه المقاومة، وأن نرتقي لمستوى توقعات الناس منا، وأن نعطيهم أملاً في المستقبل.

فنحن في خدمة هذا الشعب، والمطلوب منا أن نصبر عليه وأن نفهم آهاته ونداوي جراحاته وليس لنا في ذلك منّة عليه ولا مزية، وأن نعتذر له عن تقصيرنا؛ فهو قد رفعنا على الأعناق وزكانا، ولذلك فإن هذا الشعب يستحق منا كل الاحترام، ويستحق منا الصبر وأن نعمل على تأهيل أنفسنا حتى نقدر على خدمته، ويزكينا الله لنصرة هذا الشعب حتى يؤمن نفسه من الخوف والجوع؛ فهذا واجبنا وهذا ديننا.

● بعض الأصوات تتهم «النهضة» بعدم الفعالية في تحريك الجماهير؛ فما ردكم على ذلك؟ وماذا تفعل الحركة لمقاومة الانقلاب؟

– النهضة حزب مدني (عكس عسكري)، وليس لنا من سبيل لمقاومة الانقلاب والاستبداد إلا العمل السلمي والمدني بما يحفظ البلاد من الفوضى ويحفظ دماء الناس وأعراضهم، وأن نصبر على ذلك ونواجهه بسياسة هابيل لأخيه قابيل: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: 28)، وفي إطار هذا المبدأ القرآني العظيم تعمل «النهضة»، وعملت خلال السنة الماضية؛ إذ لم نتأخر عن النزول للشارع بما فضح ادعاءات الانقلاب في الشرعية والشعبية، وبينا أننا أكثر طرف مع شركائنا قدرة على ملء الشارع وهو ما عجز عنه غيرنا.

ونحن ما زلنا على منهجنا ونهجنا في المقاومة السلمية والمدنية، ونقترب في ذلك من أوسع طائفة من مقاومي الانقلاب، وانظر وضع «النهضة» التي

كادت تنفرد برفض الانقلاب يوم وقوعه ولم تنته السنة الأولى منه حتى أصبح الجميع يشاركها هذا الموقف، بل أصبحنا نقاومه في إطار جبهة وطنية اسمها «جبهة الخلاص»، ويشاركنا موقفنا بقية مكونات المجتمع السياسي والمدني.

أما الشارع الاجتماعي فيجب الصبر عليه، وأن نهيئ أنفسنا لنواكبه ولا نتأخر عنه، وعلى النخب أن تتواضع في تعاملها مع الشعوب، وأن تتخلى عن وهمها لها في قيادة الحراك الاجتماعي، فهذه أوهام وأحلام النخب؛ فالشعوب لا تحركها النخب بل هي تتحرك عندما تتوفر الظروف المناسبة لتحركها، والشعوب تصبر على نخبها المستبدة من حكامها حتى إذا حسمت فيها نفضتها كما ينفض الغبار عن الثوب المغبر.

ومهما كان حجم هذه النخب المستبدة فهي لا تقدر على إيقاف حركة الشعوب وأمواجها الهادرة، ولذلك علينا أن نتواضع ونكف عن الوهم ونصبر، وأن نبذل جهدنا في مناصرة شعوبنا، ولا نقودها للهلاك بتعجلنا ولا نعجل عليها ولا نسمح لأنفسنا بجلدها، بل نصبر ونصابر ونرابط معها في ساحة الحرية حتى يأتي وعد الله.

لذلك، فإننا إذ نقاوم هذا الانقلاب إنما نبغي الخير للناس كافة وليس لنا وحدنا كحزب أو فئة من الناس، بل نريده لكل أبناء شعبنا بجميع طوائفنا؛ ولذلك فإن أيدينا مفتوحة للجميع كي نعمل مع بعضنا لمقاومة الاستبداد، ولا بد أن نصل معهم لاتفاق لكيفية الانتفاع بخيرات الحرية والديمقراطية جميعاً، ونحن مستعدون في هذا أن نعطيهم من عندنا حتى يطمئنوا لخير الحرية والديمقراطية، وأنه خير عام لا ينتفع به فقط حزبنا أو فئتنا.

● لماذا لا تتفق كل القوى المعارضة للانقلاب على دعوة الجماهير للنزول في الشوارع للتظاهر حتى يسقط الانقلاب؟

– ما زال هناك من النخب من هو أسير عدائه لـ«النهضة» وحقها بالمشاركة في الفضاء العام، وهذه النخب في عقيدتها تعيش غربة عن المجتمع؛ ولذلك فشلت في الحفاظ على ولاء الشعب التونسي، وفشلت في الانتفاع بثمار الديمقراطية، ولذلك فهي لا ترى خيراً في الديمقراطية ما دامت هناك حركة أصيلة فشلوا في منافستها ديمقراطياً فتراهم يقدمون التخلص من حركة «النهضة» على مقاومة الاستبداد.

ما تمر به تونس والمنطقة مرحلة في مسار تاريخي نتقدم فيه نحو الحرية والعدالة لشعوبنا

نسبة الداعمين لسعيد لا تتجاوز 2% بعد أن كانت 40% وأغلبهم المسنون

ومع ذلك، فلا بد من تفهم مخاوف البعض من الديمقراطية؛ فالذين كانوا معنا في مقاومة استبداد بن علي يروننا نتقدم كل الانتخابات، بينما يجدون أنفسهم على هامش الحياة السياسية والديمقراطية.

إلا أنه لا بد من معالجة أخلال الديمقراطية التي همشت مناضلين ديمقراطيين، ونحن في «النهضة» مستعدون للوصول معهم لتوافقات وتعاقدات تمكن البلاد من الوصول لديمقراطية قوية ومنتجة ومدمجة، وحافظة للديمقراطيين ومعترفة لفضل المناضلين في سبيل الحرية والعدالة والكرامة للشعب التونسي، وهذا لا يتحقق إلا بتوسيع الحوار والتوافق والتضامن والتآلف.

● هل انتهى ربيع تونس وعادت لتزرح في ربقة الاستبداد والتبعية؟

– ما تمر به تونس والمنطقة مرحلة في مسار تاريخي نتقدم فيه نحو الحرية والعدالة لشعوبنا وشعوب العالم، والعالم اليوم أشد حاجة للإسلام، ولا مخرج للدول في منطقتنا إلا بالتصالح مع الإسلام، وأن يتصالح الإسلام مع الدولة كذلك.

تونس جزء من محيطها العام، ومحيطها جزء من العالم، ولا يمكن عزل الواحد عن الآخر، وتمر البشرية اليوم بمخاض تغيرات إستراتيجية في المنظومة الدولية، وفي خضم كل هذا نؤمن بأن ربيع أمتنا وشعبنا لا يمكن أن ينبلج فجره ويستقر إن لم تتم تسوية التناقضات المخلة في قيم المنظومة الغربية بين دفاعها عن الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها والظلم والقهر الذي يتعرض إليه إخواننا في فلسطين، أو مسلمو الإيغور، مثلهم في ذلك مثل الشعب الأوكراني أو بقية شعوب العالم التي تتوق للحرية وذلك بعض ما نعنيه بالإسلام الديمقراطي.

سعيد يمثل استبداداً فاشلاً، إذ كما لم تتوفر شروط النجاح للديمقراطية، فإن شروط استبداد سعيّد غير متوفرة، فقد نجحت تونس في الصمود عشر سنوات، وهي سنوات تربى فيها جيل جديد لم يعرف شيئاً عن الاستبداد، ولم يعرف إلا الحرية، وهذا الجيل لن يصبر على الاستبداد، وانظر إلى نسب مساندة الشباب لسعيّد؛ إذ تقول بعض تقارير سبر الآراء: إن نسبة الداعمين للرئيس لم تتجاوز 2%، بينما كانت تتجاوز 40%، وأغلبهم ممن تقدم بهم السن في اتجاه الهرم والشيخوخة؛ ولذلك فنجاحنا في الصمود في وجه المحاولات المتكررة للانقلاب غرست بذوراً ستثمر لا محالة، ومن ذلك ما أخذت تعبر عنه المؤسسة القضائية من إصرار على الاستقلال والحياد ورفض التعليمات التي وصمت القضاء والصحافة طيلة حكومات الاستبداد، وفي هذا الاتجاه تسير البلاد.■

قراءة في كتاب «مقدمة ابن خلدون» (8)

لا اتباع بدون بصيرة

في الحلقة الثامنة من سلسلة قراءتنا لمقدمة ابن خلدون، رحمه الله تعالى، يواصل العلامة الراحل وضع الأركان الأساسية لمجلده المهم، وباعتباره من أبرز القضاة ومن كبار فقهاء المالكية وله فتاوى عظيمة جداً، فهو يتكلم في التاريخ بلغة الفقيه المتحرر من قيد التقليد، فيؤكد أنه صنع ما صنع من أجل أن يحرر الإنسان من التقليد والاتباع دون بصيرة، والنظر دون اعتبار؛ فلا بد من معرفة العلل والأسباب التي تجعلك غير مقلد وقادر على نقد ما قاله المؤرخون.

مرحباً بقرَّاء مجلة «المجتمع» الغراء، التي نعتز بها، ونقدر دورها، ونتمنى لها استمرار إنارة الوعي الإسلامي الوسطي الرشيد.

المفكر الإسلامي

د. محمد سليم العوَّا(*)

أعدها للنشر: حسن القباني

يقول ابن خلدون: «ورتَّبْتُه على مقدمة وثلاثة كتب، المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه، والإلماع بمغالط المؤرخين»، والإلماع كلمة في لغة ابن خلدون مكررة ومعناها الإشارة، وهي في معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر، وفي المنجد الهادي لحسن سعيد الكرمي، بمعنى الإشارة، وهو معنى غير موجود في المعاجم القديمة، ولذلك أخذ د. علي عبدالواحد وافي في تحقيقه للمقدمة على ابن خلدون استعمال هذا التعبير، وعدم استخدام تعبير آخر للإلماع.

وفي رأيي، أن اللغة تطوُّر واستعمال؛ فكلما استعمل القوم من لغتهم أصلاً صحيحاً أرادوا به معنى مفهوماً فهي كلمة صحيحة، وليس ضرورياً أن نقف في اللغة عند ما تكلم به أجدادنا، فنحن نقيس عليه ونشتق منه وننحت الألفاظ الجديدة أفعالاً وأسماء للأشياء والوقائع.. إلخ، لكن هذا كله لا يمنعنا من أننا نقر ونجيز استعمال لفظ لم يسبق استعماله إذا كان معناه موافقاً لأصول اللغة وقواعدها، وفي اللغة القديمة: ألمع إليه بسيف؛ أي أشار، وألمع بثوبه؛ أي أشار بثوبه.

أنا أقول هذا لأننا كثيراً ما نقع في الوقوف في وجه التطور اللغوي، ولعلي أكثر وقوعاً في ذلك، لأنني تقليدي جداً في اللغة، بينما إذا أمعنا النظر قليلاً نجد أن هذه الكلمة التي أتتنا من التطور اللغوي صحيحة، متسقة مع الأصول، لا تأباها قواعد اللغة العربية، وبالتالي يجب أن نقبلها.

ثم قال ابن خلدون: «الكتاب الأول في العمران، وذكْر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان

ليس ضرورياً أن نقف في اللغة عند ما تكلم به أجدادنا فنحن نقيس عليه ونشتق منه وننحت الألفاظ الجديدة

(*) هذه المقالات أصلها حلقات ترفع تباعاً على موقع «يوتيوب» على قناة باسم د. محمد سليم العوَّا، والقراءة في مقدمة ابن خلدون لا تزال مستمرة.

والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب، والكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد (يقصد العصر الذي يكتب فيه)، وفيه من الإلمام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم، مثل: النبط والسريانيين والفرس وبني إسرائيل والقبط واليونان والروم، والكتاب الثالث في أخبار البربر ومن إليهم من زناتة، هذه قبائل ضخمة في المغرب، وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول».

وهنا من الأهمية بمكان أن نتوقف قليلاً عند قول ابن خلدون السابق: «وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من الأعراض الذاتية، ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها، حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك»، ونقول: يمكن الوقوف على أحوال من قبلنا ولكن لن نقف على أحوال ما بعدنا بحسب رؤية ابن خلدون، إلا بالتفكير والتعليل والقياس، فما دام حدث لهؤلاء كذا وكذا عندما فعلوا كيت وكيت، فإننا إذا فعلنا مثل ما فعلوا سيحدث لنا مثل ما حدث لهم، ولما كان الآخرون قد نجوا عندما اتخذوا السبل الصحيحة للنجاة، فإننا يجب أن نتخذ سبل النجاة الصحيحة لكي ننجو مثلما نجوا.

وابن خلدون هنا يشير إلى أمرين؛ أولهما أهمية الوقوف عند ما يحكيه لك عن أحوال ما قبلك، من الملوك والأمم والدول، ثم يشير إلى أنك بالتأمل في التعليلات والأسباب التي استنبطها والعلل التي تأملها واستخلصها من دروس التاريخ تستطيع أن تعرف نبأ من بعدك، وستصل إليه، وهذا ليس تنجيماً ولا ضرباً بالغيب، وإنما يأتي هذا بالتأمل العقلي، لأن الأشباه تقاس بأشباهها، والنظائر تعطى حكم نظائرها.

علومنا الإسلامية كلها تقوم على الرواية والدراية وابن خلدون أول من أدخلهما علوم التاريخ

على الإنسان أن يُعمل عقله فيما يقرؤه ويسمعه ليستطيع بالمقارنة الوصول لتوقُّع ما يأتي

ينادي ابن خلدون في الناس: يا أيها الناس، انتبهوا عندما أتحدث لكم عن قصص الأولين؛ لأن هذا مفيد جداً، واعتبروا بما جرى لهم وبالعلل التي أوردتها لما جرى حتى تستطيعوا التعرف على ما سيكون من أحوالكم في المستقبل، وهو يدلنا على أمرين، هما: وجوب الرواية، ووجوب الدراية.

بين الرواية والدراية

إن علومنا الإسلامية كلها تقوم على الرواية والدراية، فعلم الحديث رواية ودراية، والقرآن الكريم نفسه رواية بالتواتر من محمد صلى الله عليه وسلم، ودراية بما يفتح الله على المفسرين إلى يوم القيامة، حتى اللغة رواية ودراية، فقد روى الشعراء الشعر القديم وشعر الأمثال العربية قبل وبعد الإسلام وفسروها واستعملوا لفظاً في موضع ومنعوا لفظاً آخر في موضع ثان، ولذلك نقول: «لا رواية بلا دراية، ولا دراية بلا رواية»، وبدون ذلك لن يفهم أحد شيئاً، وأول من صنع ذلك في علم التاريخ كان ابن خلدون.

لم يأت العلامة الراحل بهذا الفعل من الهوى، لكن أتى به من المعرفة الإسلامية، فهو فقيه ومحدث وأصولي ودارس للتصوف والمذاهب الأخرى، ولقد تراكمت هذه المعارف فأنبت الله سبحانه وتعالى على لسانه وقلمه هذه العلوم في مقدمته، ومن ثم يجب على الإنسان أن يُعمل عقله فيما يقرؤه وينظمه ويكتبه ويسمعه حتى يستطيع بالمقارنة والمقايسة أن يصل إلى توقع ما يأتي.

يقول ابن خلدون: «ثم كانت الرحلة إلى المشرق»، وهذه الرحلة جاءت بعد علمه أن التكيل سيطاله وهو في المغرب في ذلك الوقت، ففعل مثلما يفعل المهدَّدُون بذلك في كل عصر ومِصْر، وقرر أن يستأذن السلطان في أداء فريضة الحج، ولهذا قصة في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.■

اقتصاد إسلامي

نظرات اقتصادية في سورة «البقرة» (5)

تسخير الكون للإنسان

د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

تناولنا في الحلقة السابقة من سورة «البقرة» بيان الغرض من الخلق، مع ربط ذلك بدورة النشاط الاقتصادي من إنتاج وتوزيع واستهلاك، وتصوير حركة النشاط الاقتصادي قبل وجود البشر على الأرض بما ييسر لهم سبل العيش، فضلاً عن إبراز الانتقال من نعمة الخلق والإيجاد إلى نعمة الفراش والمهاد ونعمة السماء كالبناء، ثم إلى نعمة الأمن الغذائي الذي به تقوم الحياة، إضافة إلى لفت النظر إلى أن الرزق للذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضاً، وكذلك بيان قيمة ومكانة ضرب الأمثال للتقريب والبيان ولله المثل الأعلى، باعتبار ضرب الأمثلة يقرب الصورة ويزيدها وضوحاً، وهو من أشد الأساليب تأثيراً في النفس وإقناعاً للعقل.

بعد أن تناول الله سبحانه وتعالى في آيات سابقة ما يدل بأدلة قاطعة على أنه عز وجل خالق السماوات والأرض وخالق الناس، تأتي هذه الآيات توبيخاً أو تعجباً من سلوك الذين يكفرون بالله تعالى، وتأتي بمزيد من الأدلة الأخرى التي لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يكذبها امتداداً لسابقتها، فيقول سبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة).

فالله تعالى هو من جاء بهذا الإنسان الذي يمثل رأس المال البشري من عدم،

وسخر له الكون تسخيراً، ومع ذلك يقابل ذلك بالكفر والنكران.

إن سجل حياة الإنسان كلها فتحاً وطياً ذكرتها آية كريمة قصيرة بصورة حية تبرز حقارة الدنيا وتفاهتها وما عند الله خير وأبقى، وسعادة المسلم في أن يعيش في الدنيا سعيداً، وتكون خاتمته سعيدة؛ فينعم بجنان الرحمن، وهذا هو هدف علم الاقتصاد.

بين الغيب والشهادة

والاقتصاد الإسلامي يجمع بين عالم الشهادة وعالم الغيب، والذين ألحدوا أو سلموا الحياة لعقولهم وأنكروا الغيبيات لا يمكن أن ينكروا أن الموت نهاية كل إنسان، والله تعالى هو من تحكم في الخلق إيجاباً؛ فخلقهم من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون، ثم نفخ فيهم من روحه وكتب لهم الحياة، ومن ثم فهو من يتحكم في الخلق موتاً عند انقضاء الأجل فتخرج من الجسد آخر ما دخل فيه وهو الروح، ثم يتصلب الجسد ويصبح كالحمأ المسنون، ثم يتعفن فيصبح كالصلصال، ثم يتبخر منه الماء فيعود تراباً، وبذلك يكون الموت نقض صورة الحياة عكس مراحل الحياة، ثم يأتي إحياء الناس يوم القيامة، فالإنسان في رحلة الحياة من الله وإليه.

ويذكر سبحانه أن الإنسان الذي هو ملاقيه وإليه يرجع لا محالة سخر له ما في الكون لخدمته، فالحياة تحتاج إمداداً من الخالق للمخلوق حتى تستمر، وهي نعمة تستحق الشكر لا الكفر، والحياة رحلة متروكة بالموت؛ لذا فكل ما سخره الله للإنسان ويبذل فيه جهداً ويتملكه ليس إلا ملكية مؤقتة أو مجازية تعود بعد وفاته لغيره، فالمالك الحقيقي للكون وما فيه هو الله تعالى.

وفي الآية إشارة لطيفة ونص لدليل قطعي على القاعدة الفقهية المعروفة أن «الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة»؛ أي إباحة الانتفاع بها أكلاً وشرباً وملبساً وتداوياً وركوباً وزينة، ولا يحق لمخلوق أن يحرم شيئاً أباحه الله لعباده تديناً به إلا بوحيه وإذنه؛ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: 59).

الحياة تحتاج إمداداً من الخالق للمخلوق حتى تستمر وهي نعمة تستحق الشكر لا الكفر

تسخير الله تعالى ما في الأرض من أجل الإنسان نتاج تكليفه لأمر عظيم وهو الاستخلاف

الإنسان في تعميره للأرض لا يخلق شيئاً لكن دوره إضافة المنفعة سواء كانت شكلية أم مكانية أم زمانية

إن الله تعالى خلق للإنسان ما في الأرض جميعاً بكل أجناسها ومواردها وبرها وبحرها من حيوان ونبات وجماد، وقوى وطاقات، وكنوز وخامات تسخيراً للإنسان، وابتدأ هذه الآيات بعظيم النعم وطلب من عباده السعي والعمل، وجاءت كلمة «لكم» لتعكس أن تسخير الله تعالى للإنسان ما في الأرض من أجل الإنسان هو نتاج تكليفه لأمر عظيم وهو الاستخلاف باعتباره سيد الأرض بإعمارها، وليس عبداً للآلة أو المادة كما فعلت النظم الاقتصادية الوضعية، وبذلك يكون التسخير استقواء للطاعة وصرفاً عن المعصية، في وجوه البناء والتعمير لا الهدم والتدمير.

موارد الأرض كافية

والإنسان في تعميره للأرض لا يخلق شيئاً، ولكن دوره إضافة المنفعة سواء كانت شكلية أم مكانية أم زمانية؛ فهو يضع البذرة التي هي من خلق الله في أرض الله وتروى بمطر من عند الله، وهو يتعهدها بالرعاية والري فتخرج ثمرتها بإذن الله تعالى، وهذا التعهد ليس فيه خلق لشيء، ولو كان الإنسان يزرع بقدرته فليأت ببذرة وأرض وماء من غير خلق الله؛ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة)، وحتى الاختراعات الجديدة التي ابتكرها الإنسان فإنها إن كانت خلقاً فإنها خلق من موجود وليس من عدم، فالله تعالى هو الذي خلق كل ما في الكون من عدم.

كما أن ما في الأرض من موارد هو كاف لحاجات البشر، وهذه الموارد منها ما هو مطمور حتى يبذل الإنسان جهداً ويكتشفها لتؤدي دورها في الحياة، وعلى قدر الجهد يكون الجزاء، وهذا ينفي نسبة المشكلة للخالق، تعالى الله عما يقولون؛ بل هي بفعل المخلوق الذي سخر له ما في السماوات والأرض جميعاً له حجة عليه للسعي ليكون لله عبداً كما خلقه عبداً، وليس كل شيء غائباً عن البشر يعني أنه غير موجود؛ بل هو موجود حتى يتم اكتشافه، وهو من خلق الله وليس المخلوق الذي دوره لا يتعدى بذل الجهد للوصول إلى تلك الموارد.

ويأتي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ليعكس أن فهم الإنسان له حدود، فكل شيء متعلق بذات الله يتجاوز قدرات العقول، فهي قاصرة ولا يمكن أن تحيط علماً أو إدراكاً بذات الله، فالله تعالى ليس كمثله شيء، وهو بكل شيء عليم، فلا تغيب ذرة من ملكه عن علمه، والكون كله يسير بإذنه ومراده.■

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

العلماء هم سادة الناس وقادتهم الأجـلّاء، وهـم منارات الأرض، وورثـة الأنبياء، وهم خيار الناس، وهم كالنجوم ينيرون للناس بعلمهم طرق الحياة التي قد يكتنفها الظلام، وتنعدم فيها الرؤية الصحيحة، لذلك رفع الله قدر العالم العامل الصادق.

وهنا نستذكر سير بعض من رحلوا من هؤلاء الأعلام في أكتوبر:

مصلحون رحلوا في أكتوبر..

الشعشاعي والصالح وأبو غدة

عبداللطيف الشعشاعي.. صاحب الهمة العالية

بقرية شعشاع إحدى قرى مركز أشمون بالمنوفية بمصر، ولد عبداللطيف عبدالباري الشعشاعي عام 1914م، ورغم أنه ولد كفيفاً، فإن الله وهبه بصيرة وهمة عالية تركت له بصمات وأثراً في كثير من مجالات العلم والحياة.

حفظ القرآن الكريم صغيراً، وتخرج في كلية أصول الدين بالجامع الأزهر، وحصل على العالمية، وكان إماماً وخطيباً مفوهاً؛ فكان محباً للعلم، حتى إنه امتلك مكتبة عظيمة عُرض عليه فيها مبلغ قدره 50 ألف جنيه، ورغم فقره وحاجته وعظم المبلغ في وقته فإنه رفض بيعها، وعندما لامه الناس، خاصة أن عنده أولاداً قال لهم: «تركت لهم الله ورسوله».

انتسب لجماعة الإخوان المسلمين في وقت مبكر عام 1929م، وأصبح من أقرب الناس إلى مؤسسها حسن البنا؛ حيث اتصف الشيخ بالشجاعة؛ فكان لا يخاف في الله لومة لائم، حتى إنه يوم وفاة البنا خطب بالجامع الأزهر وبأعلى صوت: «مات الشهيد حسن البنا».

اختير الشيخ في مجلس الشورى العام لجماعة الإخوان منذ تأسيسه عام 1933م، وحينما تألفت الهيئة التأسيسية عام 1945م لتكون بديلاً عن مجلس الشورى اختير فيها أيضاً، وفي عام 1944م اختير ليكون مسؤولاً عن قسم الأخوات المسلمات حيث نهض به ونظم شؤونه، بمساعدة زوجته زينب عبدالمجيد.

كان للشيخ دور عظيم في مواجهة الفكر التنصيري الذي اجتاح البلاد؛ فجاب المحافظات المصرية محذراً منه، وكاشفاً مخطط المبشرين.

تعرض الشيخ الكفيف للاعتقال أكثر من مرة، فقد اعتقل عام 1948م، كما اعتقل في عهد عبدالناصر وظل خلف القضبان ما يقرب من 7 سنين.

أصر على الجهاد بفلسطين رغم عذره وقال لإخوانه: «اعتبروني جملاً أو حماراً أحمل لكم أمتعتكم»

من مواقفه أنه في حرب فلسطين أصر على المشاركة في الجهاد بأي شيء رغم أنه من أصحاب الأعذار الواضحة، ورد على إخوانه حينما قالوا له: «إنك صاحب عذر، وقد رفع الله عنك الحرج»، فأجابهم: «ألا تحتاجون في حربكم جملاً وحميراً تحملون عليها متاعكم، اعتبروني جملاً أو حماراً أحمل لكم أمتعتكم إن لم أستطع القتال».

ظل مجاهداً بالكلمة والموعظة والتربية العملية حتى توفاه الله في أكتوبر 1974م.■

المصادر

1 - عبداللطيف الشعشاعي: موقع إخوان ويكي، 23 أكتوبر 2017م، https://bit.ly/3q0Pn2c

2 - مجد أحمد مكي: «العالم الفقيه د. حسن عبدالغني أبو غدة رحمه الله»، 31 أكتوبر 2020م، https://bit.ly/3AXXLWB

3 - صالح محمد الجاسر: أعلام في دائرة الاغتيال، مطابع الخالد، الرياض، 1411هـ.

حسن أبو غدة.. العالم الفقيه

وُلد حسن عبدالغني محمد بشير حسن أبو غدة بمدينة حلب السورية، في 21 ربيع الأول 1366هـ/ 12 فبراير

صبحي الصالح.. وحلم لبنان المتحد

ولد د. صبحي إبراهيم الصالح بمدينة الميناء الساحلية قرب طرابلس الشام عام 1926م، لعائلة من أصول تركية، وتلقّى علومه الأولى في إحدى المدارس الابتدائية في الميناء.

سافر للقاهرة للدراسة بالأزهر الشريف، وفي عام 1947م حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين في الأزهر الشريف، وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة، وحصل على الشهادة العالمية من جامعة الأزهر عام 1949م، والليسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام 1950م، وسافر بعدها إلى باريس، ونال في عام 1954م شهادة دكتوراة الدولة في الآداب من جامعة السوربون بفرنسا.

بعد تخرجه عمل بالتدريس الجامعي في جامعة بغداد، ثم في جامعة دمشق عام 1956م، ثم أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة العربية بجامعة بيروت العربية عام 1963م، ثم رئيساً لقسم أصول الدين بالجامعة الأردنية عام 1971م، ثم رئيساً

كانت له مواقفه الوطنية بمواجهة المليشيات اللبنانية المناوئة للسلطة ما أدى إلى اغتياله

لقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية عام 1975م، ومديراً لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة نفسها عام 1977م.

كان الشيخ الصالح من العلماء المنفتحين الذين عرفوا الإسلام شاملاً لا يقتصر على جانب فحسب؛ ولذا لم يجد حرجاً في التعاون مع الجماعة الإسلامية بلبنان.

وقد زخرت المكتبة الإسلامية بالكثير من مؤلفاته خاصة في علوم القرآن التي ترجمها للفرنسية.

كما ترأس كثيراً من المناصب واللجان، منها المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان.

كان الصالح خطيباً مفوهاً، ومحاضراً بارعاً، ومدرساً موفقاً، حاز ثناء الزملاء من الأساتذة وطلابه النجباء الذين يقدرونه، ويحترمون شخصه، وحسن أدائه، ودماثة خلقه، وتواضعه، وبساطته.

وبعدما شهد لبنان حرباً أهلية قاتلة، وفي 28 ديسمبر 1985م، عُقِد «الاتفاق الثلاثي» بين المليشيات (القوات اللبنانية المسيحية، حركة أمل الشيعية، الحركة الوطنية اللبنانية الدرزية)، لتتسلّم الأمن في بيروت بديلاً عن سُلطة أمين الجميّل، وإزاء هذا الاتفاق تنامت حركة شعبية رافضة له على رأسها الشيخ الصالح فاغتالته المليشيات صباح 7 أكتوبر 1986م، حيث قام مسلّحان ملثمان على دراجة بخارية باغتياله بثلاث طلقات في الرأس، فور نزوله من السيارة التي أوصلته إلى جمعية للأيتام كان يشرف عليها، ليتوفّى فور وصوله إلى المستشفى متأثراً بإصابته الخطيرة.■

1947م، وهو ابن شقيق العالم الجليل عبدالفتاح أبو غدة.

كان محباً للعلم منذ طفولته؛ فدرس مراحل التعليم المختلفة في مدارس حلب، ثم حصل على البكالوريوس (الإجازة) في الشريعة عام 1972م من كلية الشريعة بجامعة دمشق، والماجستير عام 1978م في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بمصر، والدكتوراة في الفقه من تونس عام 1986م.

اتسم العالم الراحل بالعلم الغزير، وعُرف بأنه كان واسع الصدر سهلاً متواضعاً بشوشاً، لا تكاد الابتسامة

أضاف للعلوم الاقتصادية المعاصرة قيمها الأخلاقية النابعة من الشريعة في المعاملات المالية

تفارق وجهه، وله العديد من المؤلفات والكتب، نذكر منها: «رسائل إلى المسلم المعاصر»، «فقه المعتقلات والسجون بين الشريعة والقانون»، «حق المرأة في اشتراط عدم الزواج عليها»، «المزاح في الإسلام»، وغيرها.

كانت له بصماته الواضحة في الاقتصاد؛ فقد أفنى حياته في البحث والتمحيص في الفلسفات الاقتصادية المختلفة وتطبيقاتها، ولم يقلد تقليد الأعمى، بل اجتهد وأضاف للعلوم الاقتصادية المعاصرة قيمها الأخلاقية الأصيلة النابعة من الشريعة الإسلامية في المعاملات المالية والتجارية.

عاش فترة في الكويت قبل أن ينتقل للجزائر ثم إسطنبول حيث توفاه الله صباح الخميس 12 ربيع الأول 1442هـ/ 29 أكتوبر 2020م عن عمر ناهز 73 عاماً، وذلك إثر إصابته بفيروس «كورونا».■

كتب- عادل العصفور:

وليد الرويح.. المربي القدوة

ولد وليد عبدالرحمن عبدالله الرويح في 5 من ذي القعدة 1370هـ/ 8 أغسطس 1951م، في منطقة المرقاب بالكويت في أسرة كبيرة؛ وكان له 13 من الإخوة والأخوات؛ 7 من الذكور، و6 من الإناث.

بدأ دراسته في روضة المرقاب، عندما كان في الرابعة من عمره، ثم التحق بمدرسة المأمون، وفي المرحلة المتوسطة التحق بمدرسة الشامية، ثم أكمل الثانوية في كيفان، ثم أكمل تعليمه الجامعي في جامعة الكويت، وتخصص في مجال إدارة الأعمال، ونال درجة البكالوريوس في هذا التخصص عام 1973م.

صفاته:

وقد اتصف الرويح بعدد من الصفات الحسنة والخلال الجميلة التي فتحت له قبول الناس، ومن هذه الصفات التي عرف بها: الصبر، والرضا، والثقة بالنفس، وصلة الأرحام، والقيادة، والحلم، والكرم، والتواصل الاجتماعي.

تربيته لأبنائه:

سلك الرويح في تربيته لأولاده مسالك عملية من خلال التربية بالقدوة؛ فقد حرص على ربطهم بفضائل الأعمال سواء في علاقاتهم الاجتماعية أم الدعوية والخيرية، ومن هذه الوسائل التي التمسها معهم:

تحبيبهم في صلة الأرحام: فكان يحثهم دائماً على صلة الأرحام بالقول، ولم يكتفِ بهذا بل كان يصحبهم معه في زيارة والديه، وأخواته وإخوانه، حتى تعلموا منه بالقدوة ضرورة وأهمية صلة الأرحام.

تحبيبهم للدعوة: فمنذ طفولتهم كان يشركهم في حلقات حفظ القرآن، ومراكز الفتيات التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي، وكان يأخذهم إلى تلك المراكز، ويشجعهم على الالتحاق والاستمرار بها، وكان يحفظهم الأناشيد الإسلامية، ومن شدة حرصه على تحفيظهم القرآن كان يأتي بمحفّظ للبيت ليتولى هذا الأمر.

تربيتهم على الستر والحجاب: كان حريصاً على تربية أولاده على الستر والعفاف، خاصة بنتيه منذ صغرهما؛ فعندما تخرجتا في الثانوية طلب منهما لبس العباءة، فوافقتا محبة لا إكراهاً.

التدريب على العطاء: كان يعلم أبناءه عملياً حب العطاء للمحتاجين، وكان يشركهم بالمشاريع الخيرية، وكان يحثهم ويشركهم في كفالة الأيتام، والاستقطاعات للأعمال الخيرية.

العمل والإنجازات:

كانت حياة الرويح، رحمه الله تعالى، حافلة بالإنجازات في مجال القطاع المصرفي والتجاري والاستثماري؛ ومن أبرز هذه الإنجازات التي كان له بصمة واضحة فيها:

أحد مؤسسي بيت التمويل الكويتي، كما عمل محللاً مالياً في البنك حتى عام 1980م، ثم مساعداً لمدير الإدارة التجارية، ثم رُقّي إلى مديرها حتى عام 1983م، وفي عام 1983م أصبح مساعداً للمدير العام للقطاع التجاري حتى عام 1992م.

وفي عام 1988م شرع بتأسيس شركة خاصة به بالتعاون مع بعض الفعاليات الاقتصادية، أسماها «شركة بيت الاستثمار الخليجي»، وأصبح رئيس مجلس إدارتها والعضو المنتدب حتى عام 2002م، ثم أنشأ شركة التأمين التكافلي بالطريقة الإسلامية، ثم شركة مشاعر لخدمات الحج والعمرة، ثم شركة أصول للإجارة والتمويل، ثم اختير ليكون نائب رئيس مجلس إدارة شركة الخليج للاستثمار والتمويل بالبحرين، ثم اختير ليكون عضو مجلس إدارة في بنك بيت التمويل العربي بلبنان، وشركة المدار للإجارة والاستثمار في الكويت حتى وفاته، رحمه الله.

الوفاة:

وبعد هذه الحياة الحافة بالعطاء والإنجاز توفي وليد الرويح في 23 من ذي الحجة 1435هـ/ 17 أكتوبر 2014م.■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

ربانيون مع الأجيال..

الإمام القرضاوي مع الأجيال

الإمام القرضاوي، يرحمه الله تعالى، فقدناه جسداً وصوتاً وحياة، لكننا لم نفقده فكراً وكتاباً وتوجيهاً وتربية، وهكذا هم الربانيون يسيرون مع الأجيال وتسير الأجيال معهم!

يغرفون من مَعين علمهم، ويسيرون على أنغام حكمتهم، ويستنيرون بنور علمهم وروعة وعظم وجمال سيرتهم أحياء وأمواتاً، ليت الجيل يكون متابعاً شغوفاً لسيرة العلماء والأبطال والشهداء؛ علمهم وثقافتهم ومشاريعهم وجهادهم ومؤلفاتهم وفتاواهم ومنهجهم في الإصلاح والدعوة والتربية وتحملهم في طلب العلم والصبر على مشاق الحياة.

إن هذا خير لهم من متابعة المشاهير من ذوي العلم الضحل والإنجاز المعدوم والخلق السيئ.

وليتنا نحن الكبار نعلّم الأبناء والأحفاد ما تعلمناه من الإمام القرضاوي، يرحمه الله تعالى.

لقد تعلمتُ من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي: نعمّر ولا ندمر، نجمع ولا نفرّق، نيسّر ولا نعسّر، نأتلف ولا نختلف، نبشّر ولا ننفّر، نقدّم ما حقه التقديم، ونؤخّر ما حقه التأخير، وأن نكون من أمة الوسط، وأن نتعلم فقه الأولويات والمقاصد والموازنات، وأن ندعو إلى الله تعالى غير خائفين ولا مترددين.

تعلمتُ من الإمام القرضاوي التواضع وقبول الرأي الآخر واحترامه، بل ودراسته والإفادة منه، تعلمت من الإمام القرضاوي الرغبة الصادقة في الإصلاح والدعوة للخير والتيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة.

تعلمتُ منه، رحمه الله تعالى، التفكير والابتكار والإبداع في تقديم الأفضل والأمثل والأحسن في العمل المؤسسي الدعوي الإسلامي؛ فهو صاحب فكرة الهيئة الإسلامية العالمية، وفكرة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وهو رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وقام بإنشاء وتأسيس كثير من المؤسسات الخيرية.

أما مؤلفاته فقد تعددت وتنوعت، أسلوب واضح عذب سلس، كلمات منوعة بتعبير رائع وجميل يستطيع الإمام الخطيب والداعية أن ينقلها إلى جمهور المسجد.

دَعُونا نفكر ونبتكر أساليب تجعل الأجيال تقترب من فكر العلماء ومؤلفاتهم وسيرتهم، مقرّين ومرددين: كلٌّ يُؤخذ بكلامه ويُرَد إلا المعصوم محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ليتنا نأخذ كتاباً واحداً ونحوّله لمسرحية يراها الأجيال ويستفيدون من ذلك الحدث التاريخي والموقف الشجاع الذي حصل بين الحجاج الطاغية، والإمام العالم الرباني سعيد بن جبير، يرحمه الله تعالى، وقد أطلق الإمام القرضاوي على هذا الكتاب اسم «عالم وطاغية».

وليت الأبناء يتدارسون مع مشايخهم وأساتذتهم كتاب «فقه الزكاة»، وكتاب «الحلال والحرام في الإسلام».

وهذه بعض مؤلفاته، رحمه الله تعالى: «فتاوى معاصرة»، «تيسير الفقه للمسلم المعاصر»، «من فقه الدولة في الإسلام»، «فقه الزكاة»، «فقه الطهارة»، «فقه الصيام»، «فقه الغناء والموسيقى»، «فقه اللهو والترويح»، «دراسة في فقه المقاصد»، «في فقه الأقليات الإسلامية».

لقد سافرتُ الصين مع فضيلة الإمام القرضاوي، فصدع بحقوق المسلمين المظلومين جريئاً حكيماً، وفرح الناس بقدومه، وفي الأماكن التي لا يستطيع المشي كانوا يحملونه بكرسيه، وكان يتلو آيات ذي القرنين من سورة «الكهف» عندما وصلنا إلى سور الصين!

وكان يتفقد جميع الإخوة المسافرين معنا أبوة وأخوة ورحمة.

كان عزيز النفس أبيّاً متحدياً لظلم الطغاة، شاعراً حراً مستعلياً بإيمانه وعقيدته وصلته بربه سبحانه وتعالى، فقد ورد في شعره:

ما الدعوات يهزمها الردى
يوماً وفي التاريخ بر يميني
ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي بالسوط
ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة
أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي
ربي وربي ناصري ومعيني
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي
وأموت مبتسماً ليحيا ديني

إن مواقف العلماء الربانين والأئمة المهديين يجب أن تُقَرَّب إلى الأجيال، وأن تُدرّس حتى ينطلق الجيل مؤمناً محباً لدينه مقتفياً هدي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، مقتدياً بسيرة رجالات الإسلام في مختلف العصور؛ حتى لا يلتفت إلى صيحات هوجاء ومذاهب جوفاء من الإلحاد والكفر والشذوذ والخمور والفجور، وحتى لا يلتفت لتلك الأودية السحيقة من الكفر والفسوق والعصيان.

رحم الله العالم الرباني والداعية المجاهد فضيلة الشيخ د. يوسف القرضاوي، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله ولجميع المسلمين، وأعزي أهله وأحبابه:

وما الدهرُ إلا هكذا فاصبر له
رَزِيّةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ[1]

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) النووي، الأذكار.

تـربوي

محطات إيمانية في طريق التربية..

بشائر الخير من النبي ﷺ لأمَّته

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

هل تذوقتَ طعم الفرحة حين يبشرك أحدٌ بما يسُرّك، ويعدك بما يسعدك، ويصور لك حياتك القادمة وأنت تعيشها في فرح وحبور، قد عمّها البشر والنور، وزانها الفرح والسرور، وأنت في هذا تتقلب مع أحبابك بين أنواع من النعيم الذي لا ينفد، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟! وكيف يكون حالك إذا كان مَن يبشرك هو خير الناس، وأصدق الناس، وأحبهم إلى الله عز وجل، وقد اشتهر بصدقه وأمانته فلم يُعهد عليه كذبة قط؟ أفلا يكون ذلك سبباً لأن تغمرك السعادة وقد أتاك بهذه البشائر الغالية التي تصدّقه فيها، وتعمل من أجل أن تنالها؟

إن هذا البشير الصادق الأمين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، السراج المنير، الذي أضاء الله تعالى به ظلمات الجهل والجاهلية وأزهق به الباطل والوثنية، فهو الهادي بإذن ربه إلى صراط الله المستقيم.

لقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يُبشر قبل أن ينذر، وأن يُرغِّب قبل أن يُحذر، قال الله تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (45) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (الأحزاب)، فبدأ دعوته مبشراً الناس بالفلاح ليؤمنوا قائلاً لهم: «يا أيُّها النَّاسُ، قولوا: لا إلهَ إلَّا اللَّه، تُفلِحوا» (رواه أحمد)، وجعل من البشارات حافزاً على الإيمان والالتزام وحسن العمل، فقال: «الإسلامُ يَجُبُّ ما قبلَه والتوبةُ تَجُبُّ ما قبلَها» (رواه البخاري).

النبي ﷺ لم يترك مجالاً تصلح فيه البشارة إلا وبشَّر فيه لتنشط النفوس للخير

البشارة لم تقتصر على أصحابه بل تعدَّت إلى غيرهم من المؤمنين الذين لم يروه

وبشر صلى الله عليه وسلم بدخول المؤمنين العاملين الجنة، فقال: «مَن آمَنَ باللَّه ورَسوله، وأقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ، كانَ حَقًّا علَى اللَّه أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ» (رواه البخاري)، وبشرهم بفتح أبوابها لهم فقال: «ما من عبد يُصلِّي الصَّلوات الخمس، ويصومُ رمضانَ، ويُؤدِّي الزَّكاةَ، ويجتنبُ الكبائرَ السَّبعَ إلَّا فُتحت له أبوابُ الجنَّةِ» (حسَّنه ابن حجر).

البشير.. وبشائر الخير:

كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك مجالاً تصلح فيه البشارة إلا وبشر فيه، وأهدى بشارته الطيبة، لتنشط النفوس لكل خير، وتعلم أن الإحسان ليس له جزاء إلا الإحسان.

فبشر خديجة رضي الله عنها: «بشَّرَها ببيتٍ في الجنَّةِ من قصَبٍ لا صخبَ فيه ولا نصبَ» (رواه الترمذي)، وهي بشرى لكل امرأة صالحة اتخذت من خديجة المَثل والقدوة وسارت على طريقها.

وبشر بعض أصحابه رضي الله عنهم بالجنة، كما روَى عبدالله بن عمرو رضي اللهُ عنهما قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فجاء أبو بكرٍ، فاستأذَنَ، فقال: «ائْذَنْ له، وبشِّرْه بالجنَّة»، ثُمَّ جاء عُمَرُ، فاستأذَنَ، فقال: «ائْذَنْ له، وبشِّرْه بالجنَّة»، ثُمَّ جاء عثمانُ، فاستأذَنَ، فقال: «ائْذَنْ له وبشِّرْه بالجنَّة» (رواه أحمد).

وبشَّر معهم آخرين من أصحابه فقال: «أبو بَكْرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعُثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطَلحةُ في الجنَّة، والزُّبَيْرُ في الجنَّة، وعبدُالرَّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنَّة، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ في الجنَّة، وسَعيدُ بنُ زيدٍ في الجنَّة، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنَّة» (رواه الترمذي).

ولم تقتصر البشارة على أصحابه رضي الله عنهم، بل تعدَّت إلى غيرهم من المؤمنين ممن لم يروه، فقد قال لأصحابه رضي الله عنهم: «إنَّ رَجُلًا يَأْتيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ له أُوَيْسٌ، لا يَدَعُ باليَمَنِ غيرَ أُمٍّ له، قدْ كانَ به بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فأذْهَبَهُ عنْه، إلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أوِ الدِّرْهَمِ، فمَن لَقِيَهُ منكُم فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» (رواه مسلم)، وفي رواية: «له وَالِدَةٌ هو بهَا بَرٌّ، لو أَقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»، فحثهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يطلبوا من أويس أن يستغفر لهم، مع أن الصحابة لهم الفضل والسبق والصحبة، وهم أفضل هذه الأمة من الناس، لكنها بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأويس باستجابة دعوته وحب

كان يشجع أصحابه على الاعتزاز بانتمائهم لأمته العظيمة واستجابتهم لرسالته الخالدة

الله عز وجل له، رغم أنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينعم بصحبته، وهي أيضاً بشارة لكل مسلم بار إلى يوم القيامة ممن كان حاله كحال أويس.

كما بشَّر النبي صلى الله عليه وسلم كل من آمن به إلى يوم الدين فقال: «طوبَى لِمَنْ رآني وآمَنَ بِي، ثُمَّ طوبى ثُمَّ طوبى ثُمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يرَني» (صحيح الجامع).

وبشَّرهم بشرف الأخوة في الله، واللقاء به على حوضه الشريف: فقال لأصحابه: «وَدِدْتُ أنِّي قد رَأيتُ إخوانَنا»، قالوا: يا رسولَ اللَّه، ألَسنا إخوانَكَ؟ قالَ: «بل أنتُمْ أصحابي، وإخواني الَّذينَ لم يَأتوا بعدُ، وأنا فرَطُهُم على الحَوض» (رواه النسائي)؛ أي: وأنا سابقُهُم ومتقدِّمهم على الحوضِ يومَ القيامةِ.

رسائل التبشير:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه رضي الله عنهم، ويرسل للجميع رسائل التبشير المفرحة ما يؤكد لهم أنهم على الحق، لينشطوا إلى العمل الذي يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، ويستزيدوا منه، وكان يشجعهم على الاعتزاز بانتمائهم لأمته العظيمة التي ختم بها الأمم، واستجابتهم لرسالته الخالدة التي أتم بها الرسالات، فيسوق لهم من البشائر ما يثبتهم على إيمانهم ويحفزهم على الدعوة إليه وتحمل المشاق في سبيله.

بشرهم بالخيرية والكرامة، فقال: «إنَّكم تُتمُّونَ سبعينَ أُمَّـة، أنْتمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» (صحيح الجامع)، وذلك بما تأخذ به من أسباب الخيرية، كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ (آل عمران: 110).

بشرهم بأنهم نصف أهل الجنة: قال عبدالله بن مسعود رضِي الله عنه: قالَ لنا رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ: «أما تَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ؟»، قالَ: فَكَبَّرْنا، ثُمَّ قالَ: «أما تَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ؟»، قالَ: فَكَبَّرْنا، ثُمَّ قالَ: «إنِّي لَأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ» (رواه مسلم).

بشرهم بدخول بعضهم الجنة بغير حساب: فقال: «وعدَني ربِّي سبحانَهُ أن يُدْخِلَ الجنَّةَ من أمَّتي سبعينَ ألفًا، لا حِسابَ عليهم، ولا عذابَ، معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وثلاثُ حثياتٍ من حَثياتِ ربِّي عزَّ وجلَّ» (رواه ابن ماجه).

وبشر المطيعين له من أمته فقال: «كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أَبَى»، قالوا: يا رَسُولَ اللَّه، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: «مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى» (رواه البخاري).

وبشر العاملين الصابرين من أمته فقال لأصحابه: «فإنَّ من ورائكُم أيَّامًا، الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ القابضِ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلًا يعمَلونَ كعملِكُم» (رواه الترمذي).

بشرهم جميعاً وقال لهم: «بشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالتيسير، والسناء والرِّفعة بالدِّين، والتَّمكين في البلاد، والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدُّنيا، فليس لهُ في الآخرة من نصيب» (رواه أحمد، وصححه الألباني).

فهو صلى الله عليه وسلم المحب لأمته، الحريص على هدايتها، أمرها بالتزام أمره واتباع سُنته، وسلوك طريقه والسير على منهجه، لتكون أهلاً لكل بشائر الخير، كما دعاها لتبشير الناس بما يسرهم، وإحياء الأمل في قلوبهم، فقال: «أبشِروا وبَشِّروا النَّاسَ؛ مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللَّه، صادقاً بها دَخَلَ الجنَّةَ» (رواه أحمد)، وقال: «بشروا ولا تنفروا» (رواه أبو داود).■

د. عصام البشير
نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ذهب الجسد وبقي ميراث الصدق..

القرضاوي.. إمام الأئمة وفقيه الأمة

نشعر بنقص الأرض من أطرافها بفقد إمام الأئمة وعلم الأعلام وفقيه الأمة وشيخ الدعاة وأستاذ المربين الذي نذر وقته وماله وفكره وجهده خدمة لدعوته ودينه وأمته زهاء 9 عقود من الزمان، ما لانت له قناة، وما وهنت له عزيمة، كان أمة في رجل، وقارة في وطن.

هو مجموعة كفايات جعلها الله تعالى في هذا الإمام علماً وعملاً وإخلاصاً وحالاً، زاوج فيها بين العلم النافع والعمل الصالح، ارتبط بأصله واتصل بعصره، جمع أمته على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ترك ميراثاً عظيماً من الفكر والعلم والفقه والدعوة، وميراثاً من القدوة والأسوة الحسنة في هديه وسمته ودعوته وسلوكه.

كان آية في حياته، وآية في مماته، ذهب الجسد وبقي ميراث الصدق.

لم يكن الشيخ يوسف لوطنه ولا لبلده، بل كان لأمته على اتساع قاراتها التي طاف الدنيا مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

عالج قضايا الأمة بفقه مستبصر واسع، جمع فيه بين النقل الصحيح والعقل الصريح، بين الثابت والمتغير، رد الفروع إلى الأصول، يسّر في الفتوى، وبشّر في الدعوة، وكان يبني ولا يهدم، يجمع ولا يفرّق، واسع الصدر والفكر، نقي القلب، يَألَف ويُؤلَف، تكالب عليه خصومه، ولكنه كان منصفاً مع الصديق والعدو والقريب والبعيد.

كان نقي السريرة صافي القلب.

في ميدان العلم له قرابة 200 عنوان في مختلف العلوم.

وعلى مستوى العمل الخيري رفع شعار «ادفع دولاراً تُنقذ مسلماً».

جمع علماء الأمة على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم ومذاهبهم في «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين».

في واجب الأقليات أنشأ «المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث».

في خدمة الإسلام من خلال الإنترنت أنشأ مؤسسة البلاغ التي عنوانها «إسلام أونلاين».

أنشأ «ملتقى الأصحاب والتلاميذ» ليخرّج الأجيال تلو الأجيال لتحمل النفَس الوسطي.

حارب على كل الجبهات الذين يميّعون الدين، والذين يغالون فيه؛ فواجه هؤلاء وهؤلاء بمنهج حكيم قائم على الوسطية والاعتدال.

كان حياً لقضايا أمته وعلى رأسها فلسطين، كان منتصراً لقضايا الشعوب في نيلها للحرية والكرامة في مواجهة الاستبداد.

مزج العلم بالعمل، والدعوة بالحركة، ناصر الشعوب فلم يستجب لضغط الحكام ولا لأهواء العوام.

كان يعبّر عن موقف العالم الرباني الذي شعاره «الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله».

حقه على الأمة أن ندعو له بظهر الغيب.. حقه على الأمة نترسم خطاه.. حقه على الأمة أن نتأسى بقدوته.. ليس بالمعصوم ولا بالملك المطهر.. ولكن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع.■

من كلمة د. عصام البشير في جنازة الإمام يوسف القرضاوي، يرحمه الله تعالى.

ليسَ أحد مِن صَحابة النبي ﷺ ذو سعةٍ إلا وأوْقف

وقفُك

يمهد الطريق..
نحو تحقيق الهدف

المساهمة:

- الأموال الموقوفة
- الوصايا والهبات
- أموال الصدقات
- ريع أوقاف أخرى

وقفية الإعلام الهادف

رسالتنا..

المساهمة في إنشاء منظومة إعلامية مهنية هادفة، ودعم ونشر الإعلام القيمي الأخلاقي المستمد من شريعتنا الإسلامية وأخلاق الصحابة رضي الله عنهم، وبث الروح الإيجابية بالمجتمع واستثمار الوقفية في قطاعات الطفل والأسرة والشباب والمرأة.

الرعايات الوقفية

رقم الحساب بيت التمويل الكويتي

011010626795

(IBAN)kw12KFHO 0000 0000 0001 1010626795

ويمكنك التبرع للوقفية عن طريق الإيداع المباشر في حساب الوقفية البنكي.

للتواصل

97271123 - 97228290

info@iwaqf.com

جمعية التكافل لرعاية السجناء

الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation

(رقم الموافقة (ع و/ت ع و 4/ 2022)

امنحهم تعليماً

500 حاله من ابناء السجناء بحاجه لدفع رسوم التعليم

تبـــرع الآن عبـــر الرقـــم الآتـــي

94064060

www.altkaful.com

24834414